ترجمة
إحسان قاسم الصالحي

كلماتٌ صغيرة
في العبادة والعقيدة

بديع الزمان
سعيد النورسي

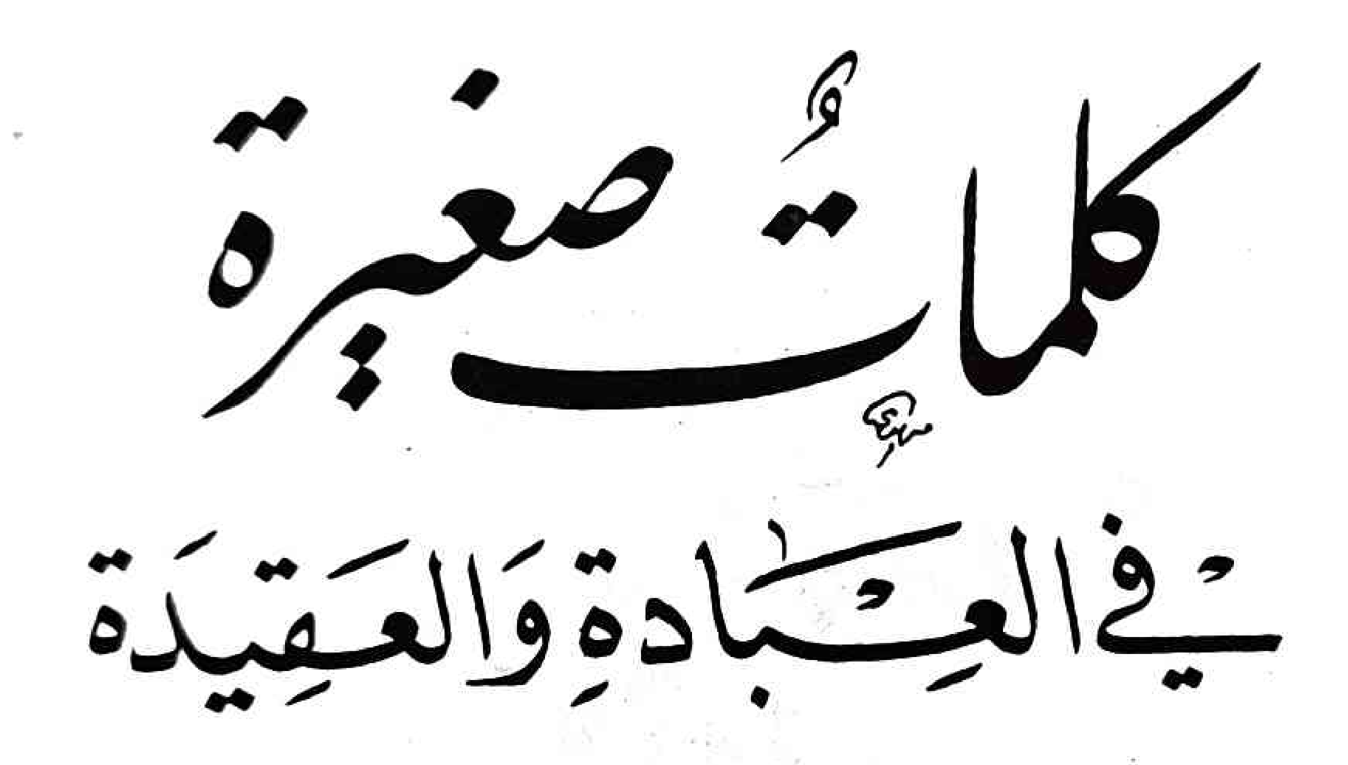


كلماتٌ صغيرة

في العبادة والعقيدة

■ الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

■ مطبعة الخلود، بغداد، تلفون ٨٨٨٢٧٧٢٦



بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٠٤



وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

«أيها الاخ :

لقد سألتني بعض النصائح ، فها أنذا أسدي اليك بضع حقائق ضمن ثماني حكايات قصيرة ، فاستمع اليها مع نفسي التي أراها أحوج ما تكون الى النصيحة ، وسأوردها لك بأمثلة عسكرية ـ لكونك جندياً ـ فلقد خاطبت بها نفسي يوماً خطاباً مسهباً ، في ثماني «كلمات» أفدتُها من ثماني آيات كريمات ، اذكرها الآن لنفسي ذكراً مقتضباً ، وبلسان العوام ، فمن يجد في نفسه الرغبة فليلق السمع معنا» .

سعيد النورسي

الكلمة الاولى

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

«بسم الله» رأس كل خير، وبدء كل امر ذي بال، فنحن أيضاً نستهل بها.

فيا نفسي إعلمي! ان هذه الكلمة الطيبة المباركة كما انها شعار الاسلام، فهي ذكر جميع الموجودات بألسنة أحوالها.

فان كنت راغبة في ادراك: مدىٰ ما في «بسم الله» من قوة هائلة لا تنفد، ومدى ما فيها من بركة واسعة لا تنضب، فاستمعي الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة:

ان البدوى الذي يتنقل في الصحراء ويسيح فيها لابد له أن ينتمي الى رئيس قبيلة، ويدخل تحت حمايته، كي ينجو من شر الاشقياء، وينجز اشغاله ويتدارك حاجاته، والاّ فسيبقى وحده حائراً مضطرباً أمام كثرة من الاعداء، ولا حد لها من الحاجات..

وهكذا.. فقد توافق ان قام اثنان بمثل هذه السياحة؛ كان احدهما متواضعاً، والآخر مغروراً، فالمتواضع انتسب الى

رئيس، بينمـا المغـرور رفض الانتسـاب. فتجـولا في هذه الصحـراء.. فمـا كان المنتسب يحـل في خيمـة الاّ ويقـابـل بالاحتـرام والتقـديـر ـ بفضل ذلك الاسم ـ وان لقيه قاطع طريق يقـول له: «أنـا باسم ذلـك الـرئيس اتجـول..» فيتخلى عنـه الشقي. امـا المغـرور فقـد لاقى من المصـائب والويلات ما لا يكـاد يوصـف، اذ كان طوال الـسفـرة في خوف دائم ووجـل مستمر، وفي تسوّل مستديم فأذلّ نفسه واهانها.

فيـا نفسي المغـرورة! اعلمي: انـكِ انتِ ذلـك السـائـح البـدوي. وهذه الدنيا الواسعة هي تلك الصحراء. وان «فقرك» و«عجزك» لاحد لهما، كما ان اعداءك وحاجاتك لا نهاية لهما. فمـا دام الأمـر هكـذا؛ فتقلدي اسم المالك الحقيقي والحاكم الابدي لهذه الصحراء، لتنجي من ذل التسول امام الكائنات، ومهانة الخوف امام الحادثات.

نعم! ان هذه الكلمة الطيبة: «بسم الله» كنز عظيم لا يفنى ابـداً، اذ بهـا يرتبـط «عجـزك» برحمـة واسعـة مطلقة أوسع من الكـائنـات، ويتعلق «فقـرك» بقـدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الـوجـود من الـذرات الى المجـرات، حتى انـه يصبـح كل من عجزك وفقرك شفيعين مقبولين لدى القدير الرحيم ذي الجلال.

ان الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويغدو بهذه الكلمة: «بسم الله» كمن انخرط في الجندية؛ يتصرف باسم الدولة، ولا يخاف أحداً حيث انه يتكلم باسم القانون وباسم الدولة، فينجز الاعمال ويثبت امام كل شيء.

وقد ذكرنا في البداية: ان جميع الموجودات تذكر بلسان حالها اسم الله، اي انها تقول: «بسم الله» أهو كذلك؟

نعم! فكما لو رأيت ان أحداً يسوق الناس الى صعيد واحد، ويرغمهم على القيام باعمال مختلفة، فانك تتيقن: ان هذا الشخص لا يمثل نفسه ولا يسوق الناس باسمه وبقوته، وانما هو جندي يتصرف باسم الدولة، ويستند الى قوة سلطان.

فالموجودات ايضاً تؤدي وظائفها باسم الله؛ فالبذيرات المتناهية في الصغر تحمل فوق رؤوسها ـ باسم الله ـ اشجاراً ضخمة واثقالاً هائلة. اي ان كل شجرة تقول: «بسم الله» وتملأ ايديها بثمرات من خزينة الرحمة الالهية وتقدمها الينا، وكل بستان يقول: «بسم الله» فيغدو مطبخاً للقدرة الالهية تنضج فيه انواع من الاطعمة اللذيذة. وكذا الحيوانات ذات البركة والنفع ـ كالابل والمعزى والبقر ـ كل منها يقول: «بسم الله» فيصبح ينبوعاً دفاقاً للّبن السائغ، فيقدم الينا ـ باسم الرزاق ـ ألطف مغذ

وانظفه . . وهكذا جذور كل نبات وعشب تشق الصخور الصلدة - باسم الله - وتثقبها بشعيراتها الحريرية الرقيقة فيُسخّر أمامها - باسم الرحمن - كل أمر صعب وكل شيء صلد! .

نعم ان انتشار الأغصان في الهواء، وحملها للاثمار، وتشعب الجذور في الصخور الصماء، وخزنها للغذاء في ظلمات التراب، وكذا تحمّل الاوراق الخضراء شدة الحرارة ولفحاتها، وبقاءها طرية ندية. . كل ذلك وغيره صفعة قوية على افواه الماديين عَبَدة الاسباب، وصرخة مدوية في وجوههم، تقول لهم: ان الصلابة والحرارة التي تتباهون بهما لا تعملان بنفسهما، بل تؤديان وظائفهما بأمر آمر واحد، بحيث يجعل تلك العروق الدقيقة الرقيقة كأنها عصا موسى تشق الصخور وتمتثل أمر **﴿فَقُلنا اضرِب بعصاكَ الحَجَر﴾**[1]، ويجعل تلك الاوراق الطرية الندية كأنها اعضاء ابراهيم عليه السلام تقرأ تجاه لفحة الحرارة: **﴿يا نارُ كوني برداً وسلاماً . . .﴾**[2].

فما دام كل شيء في الوجود يقول معنىً: «بسم الله»

---

(١) سورة البقرة: ٦٠.

(٢) سورة الانبياء: ٦٩.

ويجلب نِعَم الله باسم الله ويقـدّمهـا الينـا ، فعلينا ان نقول ايضاً «بسم الله» ونعطي باسم الله ونأخـذ باسم الله . وعلينـا اذاً ان نردّ أيدي الذين لم يعطوا باسم الله من الغافلين .

سؤال :

— اننـا نؤدي احتـراماً وتوقيراً لمن يكون سبباً لنعمة علينا ، فيا ترى ماذا يطـلب منـا ربنـا الله صاحب تلك النعم كلهـا ومالكها الحقيقي ؟

الجواب :

ان ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة امور ثمناً لتلك النعم الغالية :

الاول : الذكر . . الثاني : الشكر . . الثالث : الفكر . .

فـ«بسم الله» بدءاً هي ذكرٌ. و«الحمد لله» ختاماً هي شكرٌ، ومـا يتـوسطهمـا هو «فكـر» اي : التأمـل في هذه النعم البـديعة والادراك بأنهـا معجـزة قدرة الأحـد الصمـد وهـدايـا رحمتـه الواسعة . . فهذا التأمل هو الفكر.

ولكن أليس الـذي يقبّـل أقـدام الجندي الخادم الذي يقدّم هدية السلطان يرتكب حماقة فظيعة وبلاهة مشينة؟ اذن فما بال مَن يثني على الاسبـاب المـاديـة الجـالبـة للنعم ، ويخصصها

بالحب والـود، دون المنعم الحقيقي ! ألا يكـون مقتـرفـاً بلاهة أشد منها الف مرة؟

فيا نفس!! ان كنت ترفضين ان تكوني مثل ذلك الاحمق الابله؛

فاعطي باسم الله. . وخـذي باسم الله. . وابـدأي باسم الله. . واعملي باسم الله. . والسلام.

الكلمة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الذين يُؤمنون بالغَيب﴾

ان كنت تريد ان تعرف: ما اعظم السعادة والنعمة في الايمان، وما اعظم ما فيه من لذة وراحة، فاستمع الى هذه الحكاية القصيرة:

خرج رجلان في سياحة ـ ذات يوم ـ من أجل الاستجمام والتجارة. فمضى احدهما ـ وكان انانياً شقياً ـ الى جهة، ومضى الآخر ـ وهو رباني سعيد ـ الى جهة ثانية.

فالاناني المغرور الذي كان متشائماً لقي بلداً في غاية السوء والشؤم ـ في نظره ـ جزاء وفاقاً على تشاؤمه، حتى انه كان يرى ـ أينما اتجه ـ عجزةً مساكين يصرخون ويولولون من ايدي رجال طغاة قساة ومن اعمالهم المدمّرة. فرأى هذه الحالة المؤلمة الحزينة في كل ما يزوره من اماكن، حتى اتخذت المملكة كلها ـ في نظره ـ شكل دار مأتم عام. فلم يجد لنفسه علاجاً لحاله المؤلم المظلم غير السُكر، فرمى نفسه في نشوتها لكيلا

يشعـر بحـالـه اذ صار كل واحد من اهل هذه المملكة يتراءى له عدواً يتـربص به، وأجنبيـاً يتنكـر له، فظـل في عذاب وجداني مؤلم لمـا يرى فيمـا حولـه من جنـائز مرعبة ويتامى يبكون بكاءاً يائساً مريراً. أمّا الآخر: الرجل الربّاني العابد لله، والباحث عن الحق، فقـد كان ذا أخـلاق حسنة بحيث لقي في رحلته مملكة طيِّبـة هي في نظـره في منتهى الـروعـة والجمـال. فهذا الرجل الصـالـح يرى في المملكـة التي دخلهـا احتفـالات رائعـة ومهـرجـانـات بارعـة قائمـة على قدم وسـاق. وفي كل طرف سرورا، وفي كل زاويـة حبـوراً، وفي كل مكـان محاريب ذكر. حتى لقد صار يرى كل فرد من أفراد هذه المملكة صديقاً صدوقاً وقـريبـاً حبيبـاً له. ثم يرى ان المملكـة كلهـا تعلن - في حفـل التسـريـح العـام - هتـافـات الفـرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكـر والثنـاء. ويسمـع فيهم أيضـاً أصوات الجوقة الموسيقية وهي تقـدم ألحـانهـا الحمـاسيـة مقتـرنـة بالتكبيـرات العـاليـة والتهليلات الحارة بسعادة واعتزاز سوقاً الى الخدمة والجندية.

فبينمـا كان ذلـك الرجل الاول المتشائم منشغلاً بألمه وآلام النـاس كلهم.. كان الثـاني السعيد المتفائل مسروراً مع سرور النـاس كلهم فرحـاً مع فرحهم. فضـلاً عن انه غنم لنفسه تجارة حسنة مباركة فشكر ربه وحمده.

ولدى عودته الى أهله، يلقى ذلك الرجل فيسأل عنه، وعن أخباره، فيعلم كل شيء عن حاله فيقول له:

— «يـا هذا لقـد جننتَ! فان ما في باطنك من الشؤم انعكس على ظاهـرك بحيث أصبحت تتوهم أن كل ابتسامة صراخ ودمـوع، وأن كل تسـريـح واجـازة نهب وسلب. عُد الى رشـدك، وطهّـر قلبك.. لعل هذا الغشاء النكد ينزاح عن عينيك. وعسى أن تبصر الحقيقة على وجهها الأبلج. فأن صاحب هذه المملكـة ومـالكهـا وهـو في منتهى درجـات العـدل والمـرحمـة والـربـوبيـة والاقتـدار والتنظيم المبدع والـرفق.. وان مملكـة بمثل هذه الدرجة من الرقي والسمو مما تريك من آثار بأم عينيك... لا يمكن أن تكون بمثل ما تريه أوهامك من صور».

وبعد ذلك بدأ ـ هذا الشقي ـ يراجع نفسه ويرجع الى صوابه رويداً رويداً، ويفكر بعقله ويقول متندماً:

— نعم لقد اصابني جنون لكثرة تعاطي الخمر. ليرضَ الله عنك؛ فلقد انقذتني من جحيم الشقاء.

فيا نفسي! اعلمي ان الرجل الاول هو «الكافر» أو «الفاسق الغافل» فهذه الدنيا في نظره: بمثابة مأتم عام، وجميع الاحياء

ايتـام يبكـون تألمـاً من ضربـات الـزوال وصفعات الفراق. أما الانسـان والحيـوان فمخلوقـات سائبة بلا راع ولا مالك، تتمزق بمخـالب الأجل وتعتصر بمعصرته، وأما الموجودات الضخام - كالجبـال والبحـار - فهي في حكم الجنـائـز الهـامـدة والنعوش الـرهيبـة. . وامثـال هذه الأوهـام المدهشة المؤلمة الناشئـة من كفر الانسان وضلالته تذيق صاحبها عذاباً معنوياً مريراً.

أمـا الـرجـل الثـاني، فهو «المؤمن» الذي يعرف خالقه حق المعـرفـة ويؤمن به، فالدنيا في نظره: دار ذكر رحمانية، وساحة تعليم وتـدريب البشـر والحيـوان، وميـدان ابتلاء واختبار الانس والجان. . أما الوفيات كافة - من حيوان وانسان - فهي اعفاء من الوظائف، وانهاء من الخدمات، فالذين أنهوا وظائف حياتيهم، يودّعـون هذه الـدار الفـانيـة وهم مسرورون معنوياً، حيث انهم ينقلون الى عالم آخـر غيـر ذي قلق، خال من اوضـار المـادة واوصـاب الـزمـان والمكـان وصـروف الدهر وطوارق الحدثان، لينفسـح المجـال واسعـاً لمـوظفين جدد يأتـون للسعي في مهـامهم. . . امـا المواليد كافة - من حيوان وانسان - فهي سَوقة تجنيد عسكرية، وتسلُّم سلاح، وتسنّم وظائف وواجبات، فكل كائن انمـا هو موظف وجنـدي مسـرور، ومأمـور مستقيم راضٍ قانـع. . . وأمـا الاصـوات المنبعثة والاصداء المرتدة من ارجاء

الـدنيـا فهي : اما ذكر وتسبيح لتسنم الوظائف والشروع فيها، أو شكـر وتهليـل ايـذانـاً بالانتهـاء منهـا . أو أنغام صادرة من شوق العمـل وفـرحتـه . . . فالموجودات كلها ـ في نظر هذا المؤمن ـ خدام مؤنسـون، ومـوظفـون أخلّاء، وكتبٌ حلوة لسيده الكريم ومالكه الرحيم . . . وهكذا يتجلى من ايمانه كثير جداً من أمثال هذه الحقائق التي هي في غاية اللطف والسمو واللذة والذوق .

فالايمان اذاً يضم حقاً بذرة معنوية منشقة من «طوبى الجنة» اما الكفر فانه يخفي بذرة معنوية قد نفثته «زقوم جهنم» .

فالسـلامـة والأمـان اذاً لا وجود لهما الاّ في الاسلام والايمان . لذا علينا ان نرددِ دائماً: «الحمد لله على دين الاسلام وكمال الايمان» .

الكلمة الثالثة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿يا أيها الناس أعبدوا﴾ . .[٣]

ان كنت تريـد ان تفهم : العبـادة وما أعظمها من تجارة وسعادة، وأن تدرك : الفسق وما أكبره من خسارة وهلاك، فانظر الى هذه الحكاية التمثيلية وانصت اليها :

تسلَّم جنديان اثنان ـ ذات يوم ـ أمراً بالذهاب الى مدينة بعيدة، فسافرا معاً، الى أن وصلا مفرق طريقين، فوجدا هناك رجلا يقول لهما :

ـ ان هذا الطريق الايمن، مع عدم وجود الضرر فيه، يجد المسافرون الذين يسلكونه الراحة والاطمئنان والربح بنسبة تسعة من عشرة مضموناً. أما الطريق الايسر، فمع كونه عديم النفع يتضرر تسعة من عشرة من عابريه. علماً ان كليهما في الطول سواء، مع فرق واحد فقط، هو ان المسافر المتجه نحو

---

(٣) سورة البقرة: ٢١ .

الطريق الايسر ـ غير المرتبط بنظام وحكومة ـ يمضي بلا حقيبة متاع ولا سلاح، فيجد في نفسه خفّة ظاهرة وراحة موهومة. غير أن المسافر المتجه نحو الطريق الايمن ـ المنتظم تحت شرف الجندية ـ مضطر لحمل حقيبة كاملة من مستخلصات غذائية تزن أربع (اوقيات) وسلاحاً حكومياً يزن (اوقيتين) يستطيع أن يغلب به كل عدو.

وبعد سماع هذين الجنديين كلام ذلك الرجل الدليل، سلك المحظوظ السعيد الطريق الايمن، ومضى في دربه حاملاً على ظهره وكتفه رطلا من الاثقال الا ان قلبه وروحه قد تخلصا من آلاف الارطال من ثقل المنّة والخوف. بينما الرجل الشقي المنكود الذي آثر ترك الجندية ولم يرد الانتظام والالتزام، سلك سبيل الشمال، فمع أن جسمه قد تخلص من ثقل رطل فقد ظل قلبه يرزخ تحت آلاف الارطال من المنّ والاذى، وانسحقت روحه تحت مخاوف لا يحصرها الحد. فمضى في سبيله مستجدياً كل شخص، وجلاً مرتعشاً من كل شيء، خائفاً من كل حادثة، الى أن بلغ المحل المقصود، فلاقى هناك جزاء فراره وعصيانه.

أما المسافر المتوجه نحو الطريق الايمن ـ ذلك المحب

لنظام الجندية والمحافظ على حقيبته وسلاحه ـ فقد سار منطلقاً مرتاح القلب مطمئن الوجدان من دون أن يلتفت الى منَّة أحد أو يطمع فيها أو يخاف من أحد . . الى أن بلغ المدينة المقصودة . وهنالك وجد ثوابَه اللائق به كأي جندي شريف أنجز مهمته بالحسنى .

فيا أيتها النفس السادرة السارحة! اعلمي أن ذينك المسافرين ؛ أحدهما أولئك المستسلمون المطيعون للقانون الالٰهي ، والآخر هم العصاة المتبعون للاهواء . وأما ذلك الطريق : فهو طريق الحياة الذي يأتي من عالم الارواح ويمر من القبر مؤدياً الى عالم الآخرة . وأما تلك الحقيبة والسلاح فهما العبادة والتقوى . فمهما يكن للعبادة من حمل ثقيل ـ ظاهراً ـ الا أن لها ـ في معناها ـ راحة وخفة عظيمين لا توصفان ، ذلك لان العابد يقول في صلاته : ﴿**لا اله الا الله**﴾ أي : لا خالق ولا رازق الّا هو، النفع والضر بيده ، وانه حكيم لا يعمل عبثاً كما أنه رحيم واسع الرحمة والاحسان ، فالمؤمن يعتقد بما يقول لذا يجد في كل شيء باباً ينفتح الى خزائن الرحمة الالهية ، فيطرقه بالدعاء ويرى أن كل شيء مسخَّر لأمر ربه ، فيلتجىء اليه . ويتحصَّن أمام كل مصيبة مستنداً على التوكل ، فيمنحه ايمانه هذا الامان التام والاطمئنان الكامل .

نعم! أن منبع الشجاعة ـ ككل الحسنات الحقيقية ـ انما هو الايمان والعبودية، وأن منبع الجُبن ـ ككل السيئات ـ هو الضلالة والسفاهة.

فلو أصبحت الكرة الارضية قنبلة مُدمِّرة وانفجرت، فلربما لا تخيف عابداً لله ذا قلب منوّر، بل قد ينظر اليها أنها خارقة من خوارق القدرة الصمدانية، ويتملاها باعجاب ومتعة، بينما الفاسق ذو القلب الميت ولو كان فيلسوفاً ـ ممن يعد ذا عقل راجح ـ اذا رأى في الفضاء نجماً مذنباً يعتوره الخوف ويرتعش هلعاً ويتساءل بقلق: ألا يمكن لهذا النجم أن يرتطم بأرضنا؟ فيتردى في وادي الاوهام (لقد ارتعد الامريكان يوماً من نجم مذنب ظهر في السماء حتى هجر الكثيرون مساكنهم أثناء ساعات الليل).

نعم! رغم أن حاجات الانسان تمتد الى ما لا نهاية له من الاشياء فرأس ماله في حُكم المعدوم. ورغم أنه معرَّض الى ما لا نهاية له من المصائب فاقتداره كذلك في حكم لا شيء، اذ ان مدى دائرتي رأس ماله واقتداره بقدر ما تصل اليه يده، بينما دوائر آماله ورغائبه وآلامه وبلاياه واسعة سعة مد البصر والخيال.

فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة الى حقائق العبادة والتوكل، والى التوحيد والاستسلام! وما أعظم ما ينال

منها من ربح وسعادة ونعمة! فمن لم يفقد بصره كلياً يرى ذلك ويـدركـه. اذ من المعلوم أن الطـريق غيـر الضـار يُرجّـح على الطـريق الضـار حتى لوكان النفـع فيـه احتمالا واحداً من عشرة احتمـالات. علمـاً أن مسألتنـا هذه، طريق العبـادة، فمع كونه عديم الضـرر، واحتمـال نفعه تسعة من عشرة، فأنه يعطينا كنزاً للسعـادة الابـديـة، بينمـا طريق الفسق والسفـاهـة ـ باعتـراف الفاسق نفسه ـ فمع كونه عديم النفع فانه سبب الشقاء والهلاك الابـديين، مع يقين للخسـران وانعـدام الخيـر بنسبـة تسعة من عشـرة... وهـذا الامـر ثابت بشهـادة ما لا يحصى من (اهـل الاختصاص والاثبات) بدرجة التواتر والاجماع. وهو يقين جازم على ضوء أخبار أهل الذوق والكشف.

نحصـل من هذا: أن سعـادة الدنيا أيضاً ـ كالآخرة ـ هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله.

فعلينـا اذن أن نردد دائـماً: الحمـد لله على الطاعة والتوفيق، وأن نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلمون.

الكلمة الرابعة

«الصلاة عماد الدين»

اذا كنت تريد ان تعرف أهمية الصلاة: ما أسماها وأعظمها من عبادة، وما أيسر نيلها وأزهد كسبها! واذا كنت تريد أن تعرف ما أشـد بلاهـةً وما اعظم خسارة من لا يقيمها ولا يؤدي حقها!. نعم اذا كنت تريد ان تعرف ذلك كله بيقين تام ـ كحاصل ضرب الاثنين في اثنين يساوي أربعاً ـ فتأمل في هذه الحكاية التمثيلية القصيرة:

يُرسل حاكمُ عظيم ـ ذات يوم ـ اِثنين من خَدَمه الى مزرعته الجميلة، بعـد أن يمنـح كلاً منهمـا أربعـاً وعشرين ليرة ذهبية، ليتمكنا بها الوصول الى المزرعة التي هي على بُعد شهرين.. ويأمـرهمـا: أنفقـا من هذا المبلغ لمصاريف التذاكر ومتطلبات السفـر، واقتنيـا ما يلزمكمـا هنـاك من لوازم السكن والاقامة.. هنـاك محطـة للمسافرين على بُعد يوم واحد، توجد فيها جميع انواع وسائط النقل من سيارة وطائرة وسفينة وقطار.. ولكلٍ ثمنه.

يخـرج الخـادمـان بعـد تسلمهمـا الأوامـر. . كان أحدهما سعيـداً محظـوظـاً، إذ صرف شيئـاً يسيراً مما لديه لحين وصوله المحطـة، صرفـه في تجـارة رابحـة ـ يرضى بهـا سيدُه ـ فارتفع رأس ماله من الواحد الى الالف.

امـا الخـادم الآخـر، فلسـوء حظـه وسفـاهتـه صرف ثلاثـاً وعشـرين ممـا عنـده من الليـرات الـذهبيـة في اللهـو والقمار، فأضـاعهـا كلهـا الا ليـرة واحـدة منهـا لحين بلوغـه المحطة. . خاطبه صاحبه:

— يا هذا. . . اشتر بهذه الليرة الباقية لديك تذكرة سفر، فلا تضيّعها كذلك، فسيدُنا كريمٌ رحيمٌ، لعلّه يشملك برحمته وينـالـك عفـوه عمـا بدر منـك من تقصيـر، فيسمحوا لك بركوب الطائرة، ونبلغ معاً محل اقامتنا في يوم واحد. فان لم تفعـل ما اقـوله لك فستضطر الى مواصلة السير لشهرين كاملين في هذه المفازة مشياً على الاقدام، والجوع يفتك بك، والغربة تخيم عليك وانت وحيد شارد في هذه السفرة الطويلة. . .

تُرى لو عاند هذا الشخص، فصرف حتى تلك الليرة الباقية في سبيـل شهـوة عابـرة، وقضاء لذة زائلة، بدلاً من اقتناء تذكرة سفـر هي بمثـابـة مفتاح كنزٍ له. ألا يعني ذلك أنه شقي خاسر،

وأبله بليد حقاً . . الا يُدرك هذا أغبى انسان؟ .

فيا من لا يؤدي الصلاة! ويا نفسي المتضايقة منها!

ان ذلك الحاكم هو ربُّنا وخالقنا جلّ وعلا . أما ذلكما الخادمان المسافران، فأحدهما هو المتديّن الذي يقيم الصلاة بشوق ويؤديها حق الأداء، والآخر هو الغافل التارك للصلاة .

وأما تلك الليرات الذهبية «الاربعة والعشرون» فهي الاربع والعشرون ساعة من كل يوم من أيام العمر. وأما ذلك البستان الخاص فهو الجنة . وأما تلك المحطة فهي القبر. وأما تلك السياحة والسفر الطويل فهي رحلة البشر السائرة نحو القبر والماضية الى الحشر والمنطلقة الى دار الخلود. فالسالكون لهذا الطريق الطويل يقطعونه على درجات متفاوتة، كلٌ حسب عمله ومدى تقواه، فقسم من المتقين يقطعون في يوم واحد مسافة ألف سنة كأنهم البرق، وقسم منهم يقطعون في يوم واحد مسافة خمسين ألف سنة كأنهم الخيال. وقد أشار القرآن العظيم الى هذه الحقيقة في آيتين كريمتين . أما تلك التذكرة فهي الصلاة التي لا تستغرق خَمسُ صلوات مع وضوئها اكثر من ساعة!

فيا خسارةَ مَن يصرف ثلاثاً وعشرين ساعة من ساعاته على هذه الحياة الدنيا القصيرة ولا يصرف ساعةً واحدة على تلك

الحياة الابدية المديدة! . ويا له من ظالم لنفسه مبين! ويا له من احمق ابله!

لئن كان دفع نصف ما يملكه المرء ثمناً لقمار اليانصيب - الذي يشترك فيه اكثر من الف شخص - يعدّ أمراً معقولاً، مع أن احتمال الفوز واحد من ألف، فكيف بالذي يحجم عن بذل واحدٍ من اربعة وعشرين مما يملكه، في سبيل ربح مضمون، ولأجل نيل خزينة أبدية، باحتمال تسع وتسعين من مائة. . ألا يُعدّ هذا العمل خلافاً للعقل، ومجانباً للحكمة. . الا يدرك ذلك كلُّ من يعدّ نفسه عاقلاً؟.

ان الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معاً. فضلاً عن أنها ليست عملاً مرهقاً للجسم. وفوق ذلك فان سائر اعمال المصلي الدنيوية المباحة ستكون له بمثابة عبادة لله، وذلك بالنية الصالحة. . فيستطيع اذن ان يحوّل المصلي جميع رأس مال عمره الى الآخرة، فيكسب عمراً خالداً بعمره الفاني.

الكلمة الخامسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿إنَّ الله مَعَ الذينَ اتّقَوا والذينَ هُمْ مُحْسِنون﴾[٤]

اذا أردت أن ترى ان اقامة الصلاة واجتناب الكبائر ماأسماهما من مرتبة تليق بمهمة الانسان الحقة، وما أعظمهما من نتيجة فطرية ملائمة مع خلقته... فتأمل في هذه الحكاية التمثيلية القصيرة واستمع اليها:

كان في الحرب العالمية الاولى، وفي أحد الأفواج، جنديان اثنان: أحدهما مدرَّب على مهمته مجدّ في واجبه. والآخر جاهل بوظيفته متّبعٌ هواه. كان المتقن واجبه يهتم الاهتمام كله باوامر التدريب وشؤون الجهاد. ولم يكن ليفكر قط بلوازم معاشه وأرزاقه، حيث أنه ادرك يقيناً: ان اعاشته ورعاية شؤونه وتزوده بالعتاد بل حتى مداواته - اذا تمرض - بل حتى وضع اللقمة - اذا احتاج الأمر - في فمه، انما هو من واجب الدولة. واما واجبه الاساس فهو التدّرب على امور

---

٤) سورة النحل: ١٢٨.

الجهـاد ليس الاّ ، مع علمـه ان هذا لا يمنع من ان يقوم بشؤون التجهيـز وبعض اعمـال الإعـاشـة - كالطهي وغسل المواعين - وحتى في هذه الاثنـاء لو سُئـل : ماذا تفعـل؟!! لقال : إنما اقوم ببعض واجبـات الـدولـة تطوّعاً ، ولا يجيب : انني اسعى لأجل كسب لوازم العيش .

بينمـا الجنـدي الآخـر ، الجـاهـل لواجباته فلم يكن ليبالي بالتــدريب ولا يهتم بالحـرب . فكـان يقـول : ذلـك من واجب الـدولـة . وأنـا مالي ؟! فيشغـل نفسه بامور معيشته ويلهث وراء الاستزادة منها حتى كان يَدَع الفوج ليزاول البيع والشراء في الاسواق . .

قال له صديقه المجدّ ذات يوم :

— اخي !! إن مهمتــك الأصليــة هي التـدّرب والاستعـداد للحـرب ، وقـد جيء بك الى هنـا من أجل ذلك ؛ فاعتمد على السلطـان واطمئن اليـه في أمـر معاشك ، فلن يَدَعَك جائعـاً ، فذلـك واجبُـه ووظيفتـه . ثم إنـك عاجز وفقير لن تستطيـع أن تديـر أمور معيشتك بنفسك ، وفوق هذا فنحن في زمن جهاد وفي ساحة حرب عالمية كبرى ، أخشى أنهم يعدّونك عاصياً لأوامرهم فينزلون بك عقوبة صارمة .

نعم ؛ ان وظيفتين اثنتين تبدوان أمامنا :

احداهما: وظيفة السلطان، وهي قيامه باعاشتنا. ونحن قد نُستخدم ـ مجاناً ـ في انجاز تلك الوظيفة.

وأُخراهما: هي وظيفتنا نحن، وهي: التدريب والاستعداد للحرب، والسلطان يقدّم لنا مساعدات وتسهيلات لازمة.

فيا اخي تأمل: لولم يُعِر الجندي المهمِل سمعاً لكلام ذلك المجاهد المدرَّب كم يكون خاسراً ومتعرضاً للأخطار والتهلكة؟!

فيا نفسي الكسول!!

ان تلك الساحة التي تمور موراً بالحرب هي هذه الحياة الدنيا المائجة. وأمّا ذلك الجيش المقسم الى الافواج فهو الأجيال البشرية. وأمّا ذلك الفوج نفسه فهو المجتمع المسلم المعاصر. وأمّا الجنديان الاثنان فأحدهما هو العارف بالله والعامل بالفرائض والمجتنب الكبائر. وهو ذلك المسلم التقي الذي يجاهد نفسه والشيطان خشية الوقوع في الخطايا والذنوب. وأما الآخر: فهو الفاسق الخاسر الذي يلهث وراء هموم العيش ـ لحد إتهام الرزاق الحقيقي ـ ولا يبالي في سبيل الحصول على لقمة العيش أن تفوته الفرائض وتتعرض له المعاصي؛ وأما تلك التدريبات والتعليمات، فهي العبادة وفي

مَقدمتها الصلاة، وأما تلك الحرب فهي مجاهدة الانسان نفسه وهـواه، واجتنـابـه الخطـايـا ودنـايا الأخلاق، ومقاومته شياطين الجن والأنس. . . اِنقـاذاً لقلبـه وروحـه معاً من الهلاك الأبدي والخسران المبين.

وأمـا تانـك الـوظيفتـان الاثنتـان فاحـداهمـا: منـح الحياة ورعـايتهـا، والاخـرى: عبادة واهب الحياة ومربيها والسؤال منه والتوكل عليه والاطمئنان اليه.

أجـل! اِن الـذي وهب الحيـاة؛ وأنشأهـا صنعـةً صمـدانية معجـزة تتلمـع، وجعلهـا حكمـةً ربـانية خارقة تتألق، هو الذي يربيها وهو وحده الذي يرعاها ويديمها بالرزق.

أوَ تريد الدليل؟!. . .

إن أضـعف حيــوان وأبلده ليُــرزَق بأفضــل رزق وأجــوده (كـالاسمـاك وديـدان الفـواكه). وان أعجز مخلوق وأرقّه ليأكل أحسن رزق وأطيبه (كالاطفال والصغار).

ولـكي تفهم: ان وسيلة الــرزق الحــلال ليست الاقتــدار والاختيار، بل هي العجز والضعف، يكفيك ان تعقد مقارنة بين الاسمــاك البليـدة والثعـالب، وبين الصغـار الـذين لا قوة لهم والوحوش الكاسرة، وبين الاشجار المنتصبة والحيوانات اللاهثة.

فالذي يترك صلاته اذن لأجل هموم العيش مَثَلُهُ كمثل ذلك الجنـدي الـذي يتـرك تدريبـه وخنـدقـه ويتسـوّل متسكعـاً في الاسـواق. بينمـا الـذي يقيم الصـلاة دون ان ينسىٰ نصيبـه من الرزق، يبحث عنه من مطبخ رحمة الرزاق الكريم - لئلا يكون عالةً على الآخرين - فجميل عمله، بل هو رجولة وشهامة، وهو ضرب من العبادة أيضاً.

ثم إن فطـرة الانسـان ومـا أودع الله فيـه من أجهـزة معنـويـة تدلّان: أنـه مخلوق للعبـادة؛ لان ما أُودع فيـه من قدرات ومـا يؤديه من عمل لحياته الدنيا لا تبلغه مرتبة أدنى عصفور - الذي يتمتـع بالحيـاة اكثـر وأفضـل منـه - بينما يكون الانسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والاخروية بما اودع الله فيه من علم به وافتقار اليه وقيام بعبادته.

فيـا نفسي! إن كنت تجعلين الحيـاة الـدنيـا غايـة المقصـد وافـرغت في سبيلهـا جهـدك فسـوف تكـونـين في حكم أصغـر عصفـور. امـا اذا كنت تجعلين الحيـاة الاخـرى غايـة المنى وتتخـذين هذه الحيـاة الـدنيـا وسيلة لها ومـزرعـة، وسعيتِ لها سعيهـا... فسـوف تكونين في حكم سيد الاحياء والعبد العزيز لدى خالقه الكريم وستصبحين الضيف المكرم الفاضل في هذه الدنيا.

فدونك طريقان اثنان، تستطيعين ان تختاري أيّهما تشائين. فاسألي الرب الرحيم الهداية والتوفيق.

الكلمة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنينَ أنفُسَهم وأموالَهم بأنّ لَهم الجنة﴾[٥]

اذا أردت أن تعلم: ان بيع النفس والمال الى الله تعالى، والعبودية له، والجندية في سبيله ما اربحها من تجارة، وما اشرفها من مرتبة! فانصت الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة:

وضع سلطان ـ ذات يوم ـ لدى اثنين من رعاياه وديعةً وامانةً، لكل منهما مزرعة واسعة، فيها كل ما تتطلبه من مكائن وآلات وأسلحة وحيوانات وغيرها.. ووافق ان كان الوقت آنذاك وقت حرب طاحنة، لا يقرّ قرار لشيء؛ فإما تبدّله وتغيّره الحرب أو تجعله أثراً بعد عين.. فأرسل السلطان رحمةً منه وفضلاً أحدَ رجاله المقربين مصحوباً بأمره الكريم ليقول لهما:

«بيعوا لي ما لديكم من أمانتي لأحفظها لكم، فلا تذهب هباء في هذا الوقت العصيب. وسأردّها لكم حالما تضع

(٥) سورة التوبة: ١١١.

الحرب أوزارها . . وسأوفي ثمنها لكم غالياً ، لكأن تلك الامانة ملككم . . وستُشغل تلك المكائن والآلات التي في حوزتكم الآن في معاملي وبأسمي وعهدتي ، وسترتفع اثمانها من الواحد الى الالف ، فضلاً عن أن جميع الأرباح ستعود اليكم ايضاً . . وسأتعهد عنكم بجميع تكاليفها ومصاريفها ، حيث انكم عاجزون فقراء لا تتحملون مصاريف تلك المكائن . . وسأرد لكم جميع وارداتها ومنافعها ، علماً اني سأبقيها عندكم لتستفيدوا منها وتتمتعوا بها الى أن يحين وقت أخذها .

'لك خمس مراتب من الارباح في صفقة واحدة .

وان لم تبيعوها لي : فسيزول حتماً كل ما لديكم ، حيث ترون أن أحداً لا يستطيع أن يمسك بما عنده . . وستحرمون من تلك الاثمان الغالية . . وستهمل تلك الآلات الدقيقة النفيسة والموازين الحساسة والمعادن الثمينة ، وتفقد قيمتها كلياً ، وذلك لعدم استعمالها في اعمال راقية . . وستتحملون وحدكم ادارتها وتكاليفها وسترون جزاء خيانتكم للامانة . . فتلك خمس خسائر في صفقة واحدة . وفوق هذا كله ان هذا البيع يعني : ان البائع يصبح جندياً حراً أبياً خاصاً بي ، يتصرف باسمي ولا يبقى اسيراً عادياً وشخصاً سائباً . » .

أنصت الـرجـلان مليـاً الى هذا الكـلام الجميـل والامـر السلطاني الكريم. فقال العاقل الرزين منهما:

«سمعاً وطاعة لأمر السلطان، رضيت بالبيع بكل فخر وشكر».

أمـا الآخـر المغرور المتفرعن الغافل فقد ظن أن مزرعته لا تبيد أبداً، ولا تصيبها تقلبات الدهر واضطراب الدنيا، فقال:

«لا!.. ومَن السلطان؟ لا ابيع ملكي ولا أفسد نشوتي!».

ودارت الايام. فاصبح الرجل الأول في مقام يغبطه الناس جميعـاً، اذ اضحى يعيش في بحبـوحـة قصـر السلطان، يتنعم بألطـافـه ويتقلب على ارائـك افضـاله. أما الآخر فقد ابتلي شرّ بلاء حتى رثى لحـالــه النـاس كلهم، رغم انهم قالـوا: انـه يستحقها! اذ هو الذي ورّط نفسه بمرارة العذاب جزاء ما ارتكب من خطأ، فلا دامت له نشوته ولا دام له ملكه.

فيا نفسي المغرورة!

انظـري من خلال منظـار هذه الحكـايـة الى وجـه الحقيقـة النـاصعـة. فالسلطـان هو سلطـان الازل والأبـد وهـو ربـك وخـالقـك. وتلك المـزرعة والمكائن والآلات والموازين هي:

كل ماتملكينـه في الحيـاة الـدنيـا من جسم وروح وقلب، ومـافيهـا من سمـع وبصـر وعقـل وخيـال، اي جميـع الحـواس الظاهرة

والباطنة. وأما الرسول الكريم فهو «سيدنا محمد ﷺ». وأما الأمر السلطاني المحكم فهو القرآن الكريم الذي يعلن هذا البيع والتجارة الرابحة في هذه الآية الكريمة: ﴿**إنَّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفُسَهُم وأموالَهُم بأنَّ لَهم الجنّة**﴾[٦]: وأما الميدان المضطرب والحرب المدمّرة فهي احوال هذه الدنيا، إذ لا قرار فيها ولا ثبات، كلها تقلبات تلحّ على فكر الانسان بهذا السؤال:

«ان جميع ما نملك لا يستقر ولا يبقى في ايدينا، بل يفنى ويغيب عنّا، أليس هناك من علاج لهذا؟ ألا يمكن ان يحل البقاء بهذا الفناء؟!».

وبينما الانسان غارق في هذا التفكير، إذا به يسمع صدى القرآن السماوي يدوّي في الآفاق ويقول له بتلك الآية الكريمة: نعم! ان هناك علاجاً لهذا الداء، بل هو علاج لطيف فيه ربح عظيم في خمس مراتب..

سؤال: وما العلاج؟

الجواب: بيعُ الامانة الى مالكها الحقيقي، في هذا البيع خمس درجات من الربح في صفقة واحدة.

---

(٦) سورة التوبة: ١١١.

الربح الاول: المال الفاني يجد البقاء، لأن العمر الزائل الذي يوهب للحي القيوم الباقي، ويبذل في سبيله سبحانه، ينقلب عمراً ابدياً باقياً. عندئذٍ تثمر دقائق العمر ثماراً يانعة وازاهير سعادة وضاءة في عالم البقاء مثلما تفنى البذور ظاهراً وتنشق عنها الازهار والسنابل.

الربح الثاني: الثمن هو الجنة.

الربح الثالث: يرتفع ثمن كل عضو وحاسة ويغلو من الواحدة الى الألف.

فمثلاً: العقل عضو وآلة، إن لم تبعه - يا اخي - لله ولم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فانه يتحول الى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، اذ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذٍ الى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر انقاذاً لنفسه من أزعاجات عقله؟ ولكن اذا بيع العقل الى الله، وأُستُعمل في سبيله ولأجله، فانه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الالهية وكنوز الحكمة الربانية فاينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الالهية في كل شيء، وكل

موجـود، وكـل حادثـة . ويشـاهد الرحمة الالهية متجلية على الـوجـود كله، فيـرقى العقـل بهذا الى مرتبة مرشدٍ رباني يهيء صاحبه للسعادة الخالدة.

ومثـلاً: العين حاسـة، تطـل الـروح منها على هذا العالم، فان لم تستعملهـا في سبيـل الله، واستعملتهـا لأجـل النفس والهوى، فانها بمشاهدتها بعض المناظر الجميلة المؤقتة الزائلة تصبح في درك الخادمة والسمسارة الدنيئة لإثارة شهوات النفس والهـوى. ولكن إن بعتهـا الى خالقهـا البصيـر واستعملتها فيما يرضيـه، عنـدئذٍ تكون العين: مطالِعة لكتابَ الكون الكبير هذا وقـارئـة له، ومشـاهـدة لمعجـزات الصنعة الربانية في الوجود، وكأنها نحلة بين ازاهير الرحمة الالهية في بستان الارض، فتقطّر من شَهْد العبرة والمعرفة والمحبة نور الشهادة الى القلب المؤمن.

ومثـلاً: ان لم تبـع حاسـة الـذوق - التي في اللسـان - الى فاطـرهـا الحكيم، واستعملتهـا لأجل المعدة والنفس، فحينئذٍ تهـوي الى درك بوّاب معمل المعدة واصطبلها، فتهبط قيمتها. ولكن ان بعتَهـا الى الـرزاق الكـريم، فانها ترقى الى درجة ناظر ماهر لخزائن الرحمة الالهية، ومفتش شاكر لمطابخ القدرة الصمدانية.

فيا ايها العقل: أفق! اين الآلة المشؤمة من مفتاح كنوز الكائنات؟

ويا ايتها العين: ابصري جيداً! اين السمسرة الدنيئة من الامعان في المكتبة الالهية؟

ويا أيها اللسان: ذق بحلاوة! اين بواب المعمل والاصطبل من ناظر خزينة الرحمة الالهية؟.

فان شئت - يا آخي - فقس بقية الاعضاء والحواس على هذا، وعندها تفهم: ان المؤمن يكسب - حقاً - خاصية تليق بالجنة، كما ان الكافر يكتسب ماهية توافق جهنم. فما جوزي كل منهما بهذا الجزاء العادل الاّ لأن المؤمن يستعمل - بايمانه - أمانة خالقه سبحانه بأسمه وضمن دائرة مرضاته، وان الكافر يخون الأمانة فيستعملها لهواه ولنفسه الأمارة بالسوء.

الربح الرابع: ان الانسان ضعيف بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجته في ازدياد، وعاجز الاّ أن تكاليف عيشه مرهقة، فإن لم يتوكل هذا الانسان على العلي القدير ولم يستند اليه، وان لم يسلّم الأمر اليه ولم يطمئن به فسيظل يقاسي في وجدانه آلاماً دائمة، وتخنقه حسراته وكدحه العقيم، فإما يحوله الى مجرم قذر أو سكير عابث.

الربح الخامس: انه من المتفق عليه اجماعاً بين اهل الاختصاص والشهود والذوق والكشف أن العبادات والاذكار والتسبيحات التي تقوم بها الاعضاء ـ عندما تعمل ضمن مرضاته سبحانه ـ تتحول الى ثمار طيبة لذيذة من ثمار الجنة، وتقدّم اليك في وقت انت في أمس الحاجة اليها.

وهكذا.. ففي هذه التجارة ربح عظيم فيه خمس مراتب من الارباح، فان لم تقم بها فستحرم من ارباحها جميعها، فضلاً عن خسرانك خمس خسارات اخرى هي:

الخسارة الاولى: ان ما تحبه من مال وأولاد، وما تعشقه من هوى النفس وما تعجب به من حياة وشباب، سيضيع كله ويزول، مخلفاً آثامه وآلامه مثقلة بها ظهرك.

الخسارة الثانية: ستنال عقاب من يخون الأمانة. لأنك باستعمالك اثمن الآلات والاعضاء في أخس الاعمال قد ظلمت نفسك.

الخسارة الثالثة: لقد افتريت وجنيت على الحكمة الالهية، اذ أسقطت جميع تلك الاجهزة الانسانية الراقية الى دركات الأنعام بل أضل.

الخسارة الرابعة: ستدعو بالويل والثبور دائماً، وستئن من صدمة الفراق والزوال ووطأة تكاليف الحياة التي ارهقت بها كاهلك الضعيف مع أن فقرك قائم وعجزك دائم.

الخسارة الخامسة: ان هدايا الرحمن الجميلة - كالعقل والقلب والعين وما شابهها - ما وهبت لك الاّ لتهيئك لفتح ابواب السعادة الابدية، فما اعظمها خسارة أن تتحول تلك الهدايا الى صورة مؤلمة تفتح لك ابواب جهنم!.

والآن... سننظر الى البيع نفسه. أهو ثقيل متعب حقاً بحيث يهرب منه الكثيرون؟.

— كلا، ثم كلا... فلا تعب فيه ولا ثقل ابداً. لأن دائرة الحلال واسعة فسيحة، تكفي للراحة والسعادة والسرور. فلا داعي اطلاقاً للولوج في الحرام. أما ما افترضه الله علينا فهو كذلك خفيف وضئيل، وان العبودية لله بحد ذاتها شرف عظيم اذ هي جندية في سبيله سبحانه وفيها من اللذة وراحة الوجدان ما لا يوصف. أما الواجب فهو: ان تكون ذلك الجندي، فتبدأ باسم الله، وتعمل باسم الله، وتأخذ وتعطي في سبيله ولأجله، وتتحرك وتسكن ضمن دائرة مرضاته وأوامره، وان كان هناك تقصير فدونك باب

الاستغفار، فتضرع اليه وقل: اللهم اغفر لنا خطايانا، واقبلنا في عبادك، واجعلنا امناء على ما أمنته عندنا الى يوم لقائك. . . . . امين.

الكلمة السابعة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿مَن آمن بالله واليوم الآخر﴾[٧]

ان كنت ترغب ان تفهم: ان الايمان بالله وباليوم الآخر، ما اثمنهما من مفتاحين يحلّان لروح البشر طلسمَ الكون ولغزه، ويفتحان امامها باب السعادة والهناء... وان كنت ترغب ان تفهم: ان توكّل الانسان على خالقه صابراً، والرجاء من رزّاقه شاكراً، ما انفعهما من علاجين ناجعين.. وان كنت ترغب ان تفهم: ان الإنصات الى القرآن الكريم، والانقياد لحكمه، وأداء الصلوات وترك الكبائر، ما اغلاه من زاد للآخرة، وما اسطعه من نور للقبر، وما أيسره من تذكرة مرور في رحلة الخلود... أجل! ان كنت تريد ان تفهم هذه الامور كلها فأنصت معي الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة:

وقع جندي - في الحرب العالمية الاولى - في مأزق عصيب ووضع محيّر، اذ أصبح: جريحاً بجرحين غائرين في يمينه وفي

---

(٧) سورة البقرة: ٦٢.

شماله. وخلفه أسد هصور يوشك ان ينقضّ عليه. وامامه مشنقة تبيد جميع أحبته وتنتظره ايضاً، زد على ذلك كان امامه رحلة نفي شاقة طويلة رغم وضعه الفظيع المؤلم!... وبينما كان هذا المسكين المبتلى مستغرقاً في تفكير يائس من واقعه المفجع هذا، اذا برجلٍ خيّرٍ - كأنه الخضر عليه السلام - يتلألأ وجهه نوراً، يظهر عن يمينه ويخاطبه:

— لا تيأس ولا تقنط. سأعلمك طلسمين اثنين، ان أحسنتَ استعمالهما، ينقلب ذلك الأسد فرساً أميناً مسخَّراً لخدمتك، وتتحول تلك المشنقة مرجوحةً مريحة لطيفة تأنس بها... وسأناولك دواءين اثنين، إن احسنتَ استعمالهما يصيّران جرحيك المنتنين زهرتين شذّيتين، وسازودك بتذكرة سفر تستطيع بها ان تقطع مسافة سنة كاملة في يوم واحد كأنك تطير!! وإن لم تصدّق بما اقول فجرّبه مرة، وتيقنّ من صحته وصدقه... فجرَّب الجندي شيئاً منه، فرآه صدقاً وصواباً...

نعم، وانا كذلك - هذا المسكين «سعيد» - أصدّقه، لانني جربته قليلاً، فرأيته صدقاً وحقاً خالصاً.

ثم، على حين غرة رأى رجلاً لعوباً دساساً - كأنه الشيطان - يأتيه من جهة اليسار مع زينة فاخرة، وصور جذابة، ومُسْكرات

مغرية، ووقف قبالته يدعوه:

— اليّ اليّ ايها الصديق، أقبل لِنلهُ معاً ونستمتع بصور الحسناوات هذه، ونطرب بسماع هذه الألوان من الاغاني ونتلذذ بهذه المأكولات اللذيذة... ولكن يا هذا!

— ما هذه التمتمة التي ترددها؟!

— انه طلسم ولغز!

— دع عنك هذا الشيء الغامض، فلا تعكّر صفو لذتنا، وأُنسَ نشوتنا الحاضرة.

— يا هذا.. وماذلك بيدك؟

— انه دواء!

— إرمه بعيداً، انك سالم صحيح مابك شيء، ونحن في ساعة طرب وانس ومتعة.

— وما هذه البطاقة ذات العلامات الخمس؟

— انها تذكرة سفر، وأمر اداري للتوظيف!

— مزّقها، فلسنا بحاجة الى سفر في هذا الربيع الزاهي!

وهكذا حاول بكل مكر وخديعة ان يقنع الجندي، حتى بدأ ذلك المسكين يركن شيئاً قليلاً الى كلامه. نعم، إن الانسان ينخدع، ولقد خُدعت انا كذلك لمثل هذا الماكر!

وفجأة دوّى صوت كالرعد عن يمينه يحذّره:

— «اياك ان تنخدع . . قل لذلك الماكر الخبيث:
ان كنت تستطيع قتل الاسد الرابض خلفي ، وان ترفع اعواد المشنقة من امامي ، وان تبرأني من جرحيّ الغائرين في يميني وشمالي ، وان تحول بيني وبين رحلتي الشاقة الطويلة . . نعم إن كنت تقدر على ايجاد سبيل لكل هذا فهيا أرنيه ، وهات ما لديك ، ولك بعد ذلك ان تدعوني الى اللهو والطرب ، والاّ فاسكت ايها الأبله ، ليتكلم هذا الرجل السامي - الشبيه بالخضر - ليقول ما يروم» .

فيا نفسي الضاحكة كثيراً أيام شبابها وها انتِ اليوم تبكين عليها . اعلمي ! ان ذلك الجندي المسكين المتورط هو: أنتِ ، وهو: الانسان ، وان ذلك الاسد هو: الأجل ، وان اعواد المشنقة تلك هي : الموت والزوال والفراق الذي تذيقه كل نفس . . ألا تَرين كيف يفارقنا كل حبيب إِثر حبيب ويودعنا ليل نهار . اما الجرحان العميقان ، فأحدهما : العجز البشري المزعج الذي لا حدّ له . والآخر: هو الفقر الانساني المؤلم الذي لا نهاية له . اَما ذلك النفي والسفر المديد فهو: رحلة الامتحان والابتلاء الطويلة لهذا الانسان ، التي تنطلق من عالم الارواح مارةً من رحم الأم ومن الطفولة والصبا ثم من الشيخوخة ومن الدنيا ثم

من القبر والبرزخ ومن الحشر والصراط، واما الطلسمان فهما: الايمان بالله وباليوم الآخر. نعم ان الموت - بهذا الطلسم القدسي - يلبس صورة فرس مسخّر - بدلاً عن الاسد - بل يتخذ صورة بُراق يُخرج الانسان المؤمن من سجن الدنيا الى روضة الجنان.. الى روضة الرحمن ذي الجلال. ومن هنا كان الكاملون من الناس يحبّون الموت ويطلبونه، حيث رأوا حقيقته. ثم ان سير الزمان ومروره على كل شيء ونفوذ الزوال والفراق والموت والوفاة فيه يتخذ بهذا الطلسم الايماني صورةً وضّاءة حيث تحفّز الانسان الى رؤية الجِدَّة بتجدد كل شيء، بل يكون مبعث التأمل في الوان مختلفة متنوعة وانواع متباينة لمعجزات إبداع الخالق ذي الجلال وخوارق قدرته، وتجليات رحمته سبحانه ومشاهدتها باستمتاع وبهجة كاملين. بمثل ما يضفي تبدل المرايا العاكسة لألوان نور الشمس، وتغيّر الصور في شاشة السينما من جمال وروعة الى تكون المناظر الجذابة وتشكلها.

أما ذانك العلاجان، فاحدهما: التوكل على الله والتحلي بالصبر، اي الاستناد الى قدرة الخالق الكريم والثقة في حكمته سبحانه.

— أهو كذلك؟

— نعم، ان من يعتمد بهوية «عجزه» على سلطان الكون الذي بيده أمر «كن فيكون» كيف يجزع ويضطرب؟ بل يثبت أمام أشد المصائب واثقاً بالله ربه، مطمئن البال مرتاح القلب وهو يردد: ﴿انا لله وانا اليه راجعون﴾[8] نعم، ان العارف بالله يتلذذ من عجزه وخوفه من الله سبحانه. حقاً ان في الخوف لذة!، فلو تمكنّا الاستفسار من طفل له من العمر سنة واحدة، مفترضين فيه العقل والكلام: ما اطيب حالاتك وألذها؟ فربما يكون جوابه: هو عندما ألوذ بصدر أمي الحنون بخوفي ورجائي وعجزي... علماً ان رحمة جميع الوالدات وحنانهن ماهي الاّ لمعةُ تجلٍ من تجليات الرحمة الالٰهية الواسعة. ومن هنا وجد الذين كَمُل ايمانُهم لذة تفوق اية لذة كانت في العجز ومخافة الله حتى انهم تبرأوا الى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم ولاذوا بعجزهم اليه تعالى واستعاذوا به وحده، مقدِّمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند البارىء الجليل.

أما العلاج الآخر فهو: الدعاء والسؤال ثم القناعة بالعطاء والشكر عليه والثقة برحمة الرزاق الرحيم.

— اهو هكذا؟

---

(٨) سورة البقرة: ١٥٦.

نعم! ان من كان ضيفاً لدى الذي فَرَش له وجه الارض مائدةً حافلة بالنعم، وجعل الربيع كأنه باقة انيقة من الورود ووضعها بجانب تلك المائدة العامرة بل نثرها عليها، ان مَن كان ضيفاً عند هذا الجواد الكريم جل وعلا كيف يكون الفقر والحاجة لديه مؤلماً وثقيلاً؟. بل يتخذ فقره وفاقته اليه سبحانه صورة مُشهٍّ لتناول النِعم. فيسعى الى الاستزادة من تلك الفاقة - كمن يستزيد من شهيته - وهنا يكمن سبب افتخار الكاملين واعتزازهم بالفقر الى الله تعالى.. (واياك ان تفهم الخلاف، فاننا نقصد بالفقر: استشعار الانسان بالفقر اليه سبحانه والتضرع اليه وحده والسؤال منه، وليس المقصود اظهار الفقر الى الناس والتذلل لهم والسؤال منهم بالتسول والاستجداء!).

أما ذلك المستند أو الأمر الاداري أو البطاقة فهو: أداء الفرائض وفي مقدمتها الصلوات الخمس والاجتناب عن الكبائر.

— أهو هكذا؟

— نعم! ان جميع اهل الاختصاص والشهود وجميع اهل الذوق والكشف - من العلماء المدققين والاولياء الصالحين - متفقون على ان زاد طريق أبد الآباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبُراقها ليس الاّ امتثال أوامر القرآن

الكـريم والاجتنـاب عن نواهيـه، والاّ فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئاً في تلك الرحلة بل تقف جميعها منطفئة الاضواء عند باب القبر.

فيا نفسي الكسول!

ما اخف اداء الصلوات الخمس والاجتنـاب عن الكبـائـر السبـع ومـا أريحها وأيسرها امام عِظَم فوائدها ونتائجها وثمراتها وضـرورتهـا! ان كنتِ فطنة تفهمين ذلك. ألا قولي لمن يدعوكِ الى الفسق واللهو والسفاهة، والى ذلك الشيطان الخبيث الماكر:

«لـوكـان لديـك وسيلة لقتـل المـوت، ولإزالـة الـزوال عن الـدنيـا، ولـو كان عنـدك دواء لرفـع العجـز والفقر عن البشرية، ووسـاطـة لغلق بـاب القبـر الى الابـد، فهاتها اذاً وقُلها لأسمع وأطيـع... وإلاّ فاخـرس، فان القـرآن الكـريم يتلو آيـات الكـائنـات في مسجد الكون الكبير هذا. فلننصت اليه، ولنتنوّر بنوره، ولنعمل بهديه الحكيم، حتى يكون لساننا رطباً بذكره وتلاوته.

نعم! أن الكلام كلامه. فهو الحق، وهو الذي يُظهر الحقيقة وينشر آيات نور الحكمة.

اللهم نوِّر قلوبَنا بنور الأيمان والقرآن. اللهم اَغْنِنا بالافتقار أليك ولا تُفقِرنا بالأستغناء عنك، تبرّأنا اليك مِن حولنا وقوتنا وآلتجأنا الى حولك وقوتك فاجعلنا من المتوكلين عليك ولا تكِلْنا الى أنفسنا واحفظنا بحفظك وارحمنا وارحم المؤمنين والمؤمنات. وصلِّ وسلم على سيّدنا محمد عبدك ونبيك وصفيّك وخليلك وجمال مُلكك ومليك صُنعك وعين عنايتك وشمس هدايتك ولسان محبتك ومثال رحمتك ونور خلقك وشرف موجوداتك وسراج وحدتك في كثرة مخلوقاتك وكاشف طلسم كائناتك ودلّال سلطنة ربوبيتك ومبلّغ مرضياتك ومعرف كنوز أسمائك ومعلم عبادك وترجمان آياتك ومرآة جمال ربوبيتك ومدار شهودك واشهادك وحبيبك ورسولك الذي أرسلتَه رحمةً للعالمين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وعلى أخوانه من النبيين والمرسلين وعلى ملائكتك المقربين وعلى عبادك الصالحين... آمين.[٩]

---

(٩) هذه الادعية الواردة في ختام أغلب (الكلمات) جاءت بالاصل باللغة العربية. (المترجم).

الكلمة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الله لا الٰه الاّ هوَ الحيّ القيوم﴾[١٠]

﴿إنّ الدينَ عند الله الاسلام﴾[١٢]

اذا اردت ان تفهم ما الدنيا وما دور الروح الانسانية فيها، وما قيمة الدين عند الانسان وكيف أنه لولا الدين الحق لتحولت الدنيا الى سجن رهيب، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات، وأن الذي يحل طلسم العالم ولغزه المحير وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا «يا الله».. «لا اله الا الله».. أجل اذا كنت تريد أن تفهم كل ذلك فانصت الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة وتفكر فيها ملياً:

كان شقيقان في قديم الزمان يذهبان معاً الى سياحة طويلة، فواصلا سيرهما سوية الى أن وصلا الى مفرق طريقين، فرأيا هناك رجلاً وقوراً فسألاه: «أيّ من الطريقين أفضل؟»

---

(١٠) سورة البقرة: ٢٥٥.

(١١) سورة آل عمران: ١٩.

فأجابهما: «في الطريق الأيمن التزام اجباري للقانون والنظام، الا أن في ثنايا ذلك التكليف ثمة أمان وسعادة. أما الطريق الشمالي ففيه الحرية والتحرر الا أن في ثنايا تلك الحرية تهلكة وشقاء. والآن لكم الخيار في أيهما سلكتم».

وبعد الاستماع الى هذا الكلام سلك الأخ - ذو الطبع الطيب - طريق اليمين قائلاً: «توكلت على الله» وانطلق راضياً - عن طيب نفس - باتباع النظام والانتظام. أما الأخ الآخر الغاوي عديم الأخلاق والاحساس بالمسؤولية فقد رجّح طريق الشمال لمجرد هوى التحرر الذي فيه.

والآن فلنتابع - خيالاً - هذا الرجل السائر في طريق ظاهره السهولة والخفة وباطنه من قبله الثقل والعناء. فما أن عبر الوديان العميقة والمرتفعات العالية الوعرة حتى دخل وسط مفازة خالية وصحراء موحشة؛ فسمع صوتاً مخيفاً، ورأى أن أسداً ضخماً غضوباً قد انطلق من الأحراش نحوه؛ ففر منه فراراً وهو يرتعد خوفاً وهلعاً، فصادف بئراً معطلة على عمق ستين ذراعاً فألقى نفسه فيها طلباً للنجاة، وفي أثناء السقوط لقيَت يداه شجرةً فتشبث بها. وكان لهذه الشجرة جذران نبتا على جدار البئر وقد سلّط عليهما فأران، أبيض وأسود. وهما يقضمان ذينك الجذرين بأسنانهما الحادة. فنظر الى الأعلى فرأى الأسد

واقفاً كالحارس على فوهة البئر، ونظر الى الأسفل فرأى ثعباناً كبيراً جداً قد رفع رأسه يريد الاقتراب منه وعلى مسافة ثلاثين ذراعاً، وله فم واسع سعة البئر نفسها. ورأى ثمة حشرات مؤذية لاسعة تحيط به. نظر الى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة تين، الا أنها تثمر بصورة خارقة أنواعاً مختلفة وكثيرة من فواكه الأشجار ابتداء من الجوز وانتهاء الى الرمان.

لم يكن هذا الرجل ليفهم ـ لسوء ادراكه وحماقته ـ بأن هذا الأمر ليس اعتيادياً، ولا يمكن أن تأتي كل هذه الأشياء مصادفةً ومن دون قصد. ولم يكن يفهم أن في هذه الشؤون العجيبة أسراراً غريبة، وأن هناك وراء كل ذلك من يدبّر هذه الأمور ويسيّرها. فبينما يبكي قلب هذا الرجل وتصرخ روحه ويحار عقله من اوضاعه الاليمة اذا بنفسه الأمارة بالسوء أخذت تلتهم فواكه تلك الشجرة متجاهلة عما حولها وكأن شيئاً لم يحدث؛ سادّة أذنيها عن صرخات القلب وهواتف الروح، خادعة نفسها بنفسها رغم أن قسماً من تلك الفواكه كانت مسمومة ومضرة.

وهكذا نرى أن هذا الرجل الشقي قد عومل بمثل ما جاء في الحديث القدسي: ﴿**أنا عند ظن عبدي بي**﴾[١٢] أي: أنا

---

(١٢) «انا عند ظن عبدي بي» رواه الشيخان ـ المترجم ـ.

أعـامـل عبـدي مثلما يعرفني هو. فلقد عومل هكذا، وسيعامل مثلها ايضاً، بل لابد أن يرى مثل هذه المعاملة جزاء لتلقيه كل ما يشاهد أمراً عادياً دون قصد وحكمة وكأنه الحق بعينه، وذلك لسـوء ظنـه وبـلاهتـه الخـرقاء؛ فصار يتقلب في نار العذاب ولا يستطيع أن يموت لينجو ولا يقدر على العيش الكريم.

ونحن بدورنا سنرجع تاركين وراءنا ذلك المشؤوم يتلوى في عذابه؛ لنعرف ما جرى على الأخ الآخر من أحوال.

فهـذا الـرجل المبارك ذو العقل الرشيد لا يزال يقطع الطريق دون أن يعـاني الضيق كأخيـه، ذلك لأنه لا يفكر الا في الأشياء الجميلة ـ لمـا له من جمـال الخُلق ـ ولا يأخـذ بعنان الخيال الا بمـا هو جميـل ولطـيف، لذا كان يستأنس بنفسـه ولا يلاقي الصعـوبـة والمشقـة كأخيـه. ذلـك لأنـه يعرف النظام، ويعمل بمقتضى الـولاء والاتبـاع. فيرى الأمور تسهل له، ويمضي حراً منطلقـاً مستظـلاً بالأمـان والاستقـرار. وهكذا مضى حتى وجد بستـانـاً فيـه أزهـار جميلة وفـواكـه لطيفة مع ثمة جثث حيوانات وأشيـاء منتنـة مبعثرة هنا وهناك بسبب اهمال النظافة. كان أخوه الشقي قد دخـل ـ من قبـل ـ في مثـل هذا البستـان أيضا غير أنه انشغل بمشاهدة الجيف الميتة والامعان فيها مما أشعره بالغثيان والـدوار. فغـادره دون أن يأخـذ فيـه قسطـاً من الراحة لمواصلة

السير. أما هذا الأخ ـ فعملاً بقاعدة «انظر الى الأحسن من كل شيء» ـ فقد أهمل الجيف ولم يلتفت اليها مطلقاً، بل استفاد مما في البستان من الأشياء والفواكه. وبعد ما استراح فيه الراحة التامة مضى الى سبيله.

ودخل ـ هو ايضاً كأخيه ـ في صحراء عظيمة ومفازة واسعة وفجأة سمع صوت أسد يهجم عليه؛ فخاف ـ الا أنه دون خوف أخيه ـ حيث فكّر ـ بحُسن ظنه وجمال تفكيره ـ قائلاً: «لابد أن لهذه الصحراء حاكماً، فهذا الأسد اذن يحتمل أن يكون خادماً أميناً تحت أمرته». فوجد في ذلك اطمئناناً، غير أنه فرّ كذلك حتى وصل وجهاً لوجه الى بئر معطلة ذات عمق بستين ذراعاً فألقى نفسه فيها وأمسك ـ كصاحبه ـ بشجرة في منتصف الطريق من البئر. وبقي معلقاً بها، فرأى حيوانين اثنين يقطعان جذري تلك الشجرة رويداً رويداً. فنظر الى الأعلى فرأى الأسد، ونظر الى الأسفل فرأى ثعباناً ضخماً، ونظر الى نفسه فوجدها ـ كأخيه تماماً ـ في وضع عجيب غريب. فدهش من الأمر هو كذلك الا أنه دون دهشة أخيه بألف مرة، لما منحه الله من حُسن الخلق وحُسن التفكير والفكر الجميل الذي لا يريه الا الجهة الجميلة من الأشياء. ولهذا السبب فقد فكّر: بأن هذه الأمور العجيبة ذات علاقات مترابطة بعضها ببعض، وانها

لتظهر كأن أمراً واحداً يحركها؛ فلابد ـ اذن ـ أن يكون في هذه الأعمال المحيرة سرّ مغلق وطلسم غير مكشوف.

أجل ان هذه كلها ترجع الى أوامر حاكم خفي، فأنا اذن لست وحيداً، بل ان ذلك الحاكم الخفي ينظر اليّ ويرعاني ويختبرني، ولحكمة مقصودة يسوقني الى مكان، ويدعونني اليه. فنشأ لديه من هذا التفكير الجميل والخوف اللذيذ شوقٌ أثار هذا السؤال: ياترى مَن يكون هذا الذي يجرّبني ويريد أن يعرّف نفسه الي؟ ومن هذا الذي يسوقني في هذا الطريق العجيب الى غاية هادفة؟! ثم نشأ من الشوق الى التعرف محبة صاحب الطلسم ونمت من تلك المحبة رغبة حل الطلسم، ومن تلك الرغبة انبثقت رغبة اتخاذ وضع جميل وحالة مقبولة لدى صاحب الطلسم حسب ما يحبه ويرضاه.

ثم نظر الى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة تين غير أن في نهاية أغصانها آلاف الأنواع من الأثمار والفواكه، وعندها ذهب خوفه وزال نهائياً، لأنه علم علماً قاطعاً بأن شجرة التين هذه انما هي فهرس ومعرض، حيث قلد الحاكم الخفي نماذج ما في بستانه وجناته بشكل معجز عليها وزيّنها بها، اشارةً لما أعدّه من أطعمة ولذائذ لضيوفه. والا فان شجرة واحدة لن تعطي

أثمار آلاف الأشجار، فلم يرَ أمامه الاّ الدعاء والتضرع؛ فألح متوسلاً بانكسار الى أن أُلهم بمفتاح الطلسم فهتف قائلاً:

— «يا حاكم هذه الديار والآفاق التجىء اليك وأتوسل وأتضرع، فانا لك خادم، أريد رضاك وأنا أطلبك وأبحث عنك»...

فانشق جدار البئر فجأة - بعد هذا الدعاء - عن باب يفتح الى بستان فاخر طاهر جميل، وربما انقلب فم ذلك الثعبان الى ذلك الباب واتخذ كلٌ من الأسد والثعبان صورة الخادم وهيأته.. فأخذا يدعوانه الى البستان حتى أن ذلك الأسد تقمص شكل حصان مسخَّر بين يديه.

فيا نفسي الكسلىٰ! ويا صاحبي في الخيال..

تعالا لنوازن بين أوضاع هذين الأخوين كي نعلم كيف أن الحسنة تجلب الحسنة ونرى كيف أن السيئة تأتي بالسيئة.

ان المسافر الشقي الى جهة الشمال معرّض في كل آن أن يلج في فم الثعبان فهو يرتجف خوفاً وهلعاً. أما هذا السعيد فهو يُدعىٰ الى بستان أنيق بهيج مثمر بفواكه شتى. وان قلب ذلك الشقي يتمزق في خوف عظيم ورعب أليم بينما هذا السعيد يرى غرائب الأشياء وينظر اليها بعبرة حلوة وخوف لذيذ ومعرفة محبوبة. وان ذلك الشقي المسكين ليعاني من الوحشة واليأس

واليتم عذاباً وأي عذاب؟! بينما هذا السعيد يتلذذ في الأنس ويترفل في الأمل والشوق. ثم ان ذلك المنكود يرى نفسه محكوماً عليه - كالسجين - بهجمات الحشرات المؤذية، بينما هذا السعيد المحظوظ يتمتع متعة ضيف عزيز. وكيف لا فهو ضيف عند مضيف كريم، فيستأنس مع عجائب خدمه. غير أن ذلك السيء الحظ ليعجّل عذابه في النار بأكله مأكولات لذيذة الطعم ظاهراً ومسمومة حقيقةً ومعنىً، اذ أن تلك الفواكه ما هي اِلّا نماذج، قد أُذن للتذوق منها فقط ليكون طالباً لحقائقها وأُصولها ويكون شاريها الأصيل والّا فلا سماح للشراهة منها كالحيوان. أما هذا السعيد المحمود فانه يتذوق منها اذ يعي الأمر، مؤخِّراً أكلها وملتذاً بالانتظار. ثم ان ذلك الشقي يكون قد ظلم نفسه بنفسه؛ جاراً عليه وضعاً مظلماً وأوهاماً ذات ظلمات حتى كأنه في جحيم، بانعدام بصيرته عن حقائق ساطعة كالنهار وأوضاع جميلة باهرة، فلا هو مستحق للشفقة ولا له حق الشكوى، مَثَله في هذا مثل رجل وسط أحبائه في موسم الصيف وفي حديقة جميلة بهيجة في وليمة طيبة للأفراح، فلعدم قناعته بها راح يرتشف كؤوس الخمر - أم الخبائث - حتى أصبح سكيراً ثملاً؛ فشرع بالصراخ والعويل، وبدأ بالبكاء، ظاناً نفسه أنه في قلب الشتاء القارص، ومتصوراً أنه جائع وعار

وسـط وحوش مفترسة. فمثلما أن هذا الرجل لا يستحق الشفقة والـرأفـة، اذ ظلم نفســه بنفسه متوهماً أصدقاءه وحوشاً، محتقراً لهم.. فان هذا المشؤوم كذلك تماماً.

ولكنمـا ذلـك السعيـد يبصـر الحقيقـة، والحقيقـة بذاتهـا جميلة، ومـع ادراك جمـال الحقيقـة فانـه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقّره فيستحق رحمته.

فاعلم اذن سراً من أسـرار: ﴿**مـا أَصَابكَ مِن حَسَنةٍ فَمِن الله وما أَصَابكَ مِن سَيئةٍ فَمِن نَفسِكَ**﴾.[13]

فلو وازنت سائـر هذه الفـروق وأمثـالهـا لعلمت: أن النفس الأمارة للأول قد أحضرت له جهنم معنوية، بينما الآخر قد صار ـ بحسن نيتـه وحسن ظنـه وحسن خصلتـه وحسن فكـره ـ مظهراً للفيض والسعادة والاحسان العميم.

فيا نفسي. ويا أيها الرجل المنصت معي الى هذه الحكاية:

اذا كنت لا تريـد أن تكـون مثـل ذلك الأخ المشؤوم وترغب في أن تكـون كالأخ السعيـد فاستمع الى القرآن الكريم وأرضخ لحكمه واعتصم به واعمل بأحكامه.

---

(١٣) سورة النساء: ٧٩.

واذا كنت قد وعيت ما في هذه الأقصوصة التمثيلية من حقائق؛ فانك تستطيع أن تطبق عليها الحقيقة الدينية والدنيوية والانسانية والايمانية كلها. وسأقول لك أنا الأسس، واستخرج أنت بنفسك الدقائق!

فالاخوان الاثنان: أحدهما هو روح المؤمن وقلب الصالح، وأما الآخر فهو روح الكافر وقلب الفاسق. أما اليمين من تلكما الطريقين فهو طريق القرآن وطريق الايمان.

وأما الشمال فطريق العصيان والكفران. وأما ذلك البستان في الطريق فهو الحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الانسانية التي يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والطاهر والقذر معاً.

فالعاقل هو مَن يعمل على قاعدة:

«خذ ما صفا... دع ما كدر» فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان.

وأما تلك الصحراء فهي هذه الدنيا وهذه الارض. وأما ذلك الأسد فهو الأجل والموت. وأما تلك البئر فهي جسد الانسان وزمان الحياة. وأما ذلك العمق البالغ ستون ذراعاً فهو اشارة الى العمر الغالب، وهو معدل العمر «ستون سنة». وأما تلك الشجرة فهي مدة العمر ومادة الحياة. وأما الحيوانان الاثنان: الأسود

والابيض فهما الليل والنهار. وأما ذلك الثعبان فهو فم القبر المفتوح الى طريق البرزخ ورواق الآخرة. . الا أن ذلك الفم هو للمؤمن باب يفتح من السجن الى البستان. وأما تلك الحشرات المضرة فانها المصائب الدنيوية، الا أنها للمؤمن في حكم الايقاظات الالٰهية الحلوة والالتفاتات الرحمانية لئلا يغفل، وأما مطعومات تلك الشجرة فهي النعم الدنيوية التى صنعها رب العزة الكريم لكي تكون فهرساً للنعم الأخروية ومذكرة بها، بمشابهتها لها، وقد خلقها البارىء الحكيم على هيئة نماذج لدعوة الزبائن الى فواكه الجنة. وان اعطاء تلك الشجرة على وحدتها الفواكه المختلفة المتباينة اشارة الى آية الصمدانية وختم الربوبية الآلهية وطغراء سلطنة الألوهية.

ذلك لأن «**صنع كل شيء من شيء واحد**» أي صنع جميع النباتات وأثمارها من تراب واحد، وخلق جميع الحيوانات من ماء واحد وابداع جميع الأجهزة الحيوانية من طعام بسيط. وكذا «**صنع الشيء الواحد من كل شيء**» كبناء لحم معين وجلد بسيط لذي الحياة من مطعومات مختلفة الأجناس. . . انما هي الآية الخاصة للذات الأحدية الصمدية والختم المخصوص للسلطان الأزلي والأبدي وطغراؤه التي لا يمكن تقليدها أبداً. نعم ان خلق شيء من كل شيء وخلق كل شيء من شيء، انما

هو خاصية تعود الى خالق كل شيء وعلامة مخصوصة للقادر على كل شيء. وأما ذلك الطلسم فهو سر حكمة الخلق الذي يُفتح بسر الايمان.

واما ذلك المفتاح فهو ﴿الله لا اله الا هو الحي القيوم﴾ و«يا الله» و﴿لا اِلـه الا الله﴾. وأما انقلاب فم ذلك الثعبان الى باب البستان فهو رمز الى:

أن القبر هو سجن الوحشة والنسيان والاهمال والضيق، فهو كبطن الثعبان لأهل الضلالة والطغيان. ولكنه بالنسبة لأهل الايمان والقرآن.. انما هو باب مفتوح على مصراعيه من سجن الدنيا الى بستان البقاء، ومن ميدان الامتحان الى روضة الجنان، ومن زحمة الحياة الى رحمة الرحمٰن. وأما انقلاب ذلك الأسد المفترس الى حصان مسخر والى خادم مؤنس فهو اشارة الى: أن الموت لأهل الضلال فراق أبدي أليم من جميع المحبوبات، وخروج من جنة دنيوية كاذبة الى وحشة سجن انفرادي للقبر، وضياع في تيه سحيق.. بينما هو لأهل الهداية وأهل القرآن: رحلة الى العالم الآخر، ووسيلة الى ملاقاة الأحبة والأصدقاء القدامى، وواسطة الى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية، ودعوة كريمة من سجن الدنيا الى بساتين الجنات، وانتظار لأخذ الأجرة للخدمات تفضلاً من

الـرحمٰن الـرحيم، وتـرخيصـة من تكـاليف الحيـاة واجـازة من وظيفتهـا، واعـلان الانتهـاء من واجبـات العبـوديـة وامتحانات التعليم والتعليمات.

نحصل من هذا كله:

أن كل من يجعـل الحيـاة الفـانيـة مبتغـاه فسيكون في جهنم حقيقةً ومعنىً، حتى لو كان يتقلب ـ ظاهراً ـ في بحبوبة النعيم.

وان كل من كان متوجهاً الى الحياة الباقية ويسعى اليها بجد واخـلاص فهـو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً حتى لو كانت دنيـاه سيئـة وضيقـة، الا أنـه سيراهـا حلوة طيبة، وسيراها قاعة انتظار لجنته، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر.

اللهم اجعلنا من أهل السعادة والسلامة والقرآن والايمان آمين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد جميـع الحـروفـات المتشكلة في جميـع الكلمات المتمثلة بأذن الـرحمن في مرايـا تموجات الهواء عند قراءة كل كلمة من القرآن من كل قارىء من أول النزول الى آخر الزمان.

وارحمنـا ووالـدينا وارحم المؤمنـين والمؤمنـات بعـددهـا برحمتك يا أرحم الراحمين آمين. والحمد لله رب العالمين.

الكلمة التاسعة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿فَسُبْحانَ الله حينَ تُمسونَ وحين تُصبِحُونَ . وَلَه الحَمدُ في السَمٰوات والارضِ وَعَشِيّا وحين تُظهِرون﴾ . [١٤]

أيها الأخ: تسألني عن حكمة تخصيص الصلاة في هذه الاوقات الخمسة المعينة، فنحن سنشير الى حكمة واحدة فقط من بين حِكمها الوفيرة.

نعم، ان وقت كل صلاة، كما انه بداية انقلابٍ زمني عظيم ومهم، فهو كذلك مرآة لتصرف الٰهى عظيم، تعكس الآلاء الالهية الكلية - كالمرآة - في ذلك الوقت، لهذا فقد أُمر - في تلك الاوقات - بالصلاة، اي: الزيادة من التسبيح والتعظيم للقدير ذي الجلال، والاكثار من الحمد والشكر لنعمه التي لا تحصى والتي تجمعت بين الوقتين. ولأجل فهم بعضٍ من هذا المعنى

---

(١٤) سورة الروم: ١٧-١٨

العميق الدقيق، ينبغي الاصغاء - مع نفسي - الى خمس نكات . [15]

النكتة الاولى :

ان معنى الصـلاة هو: التسبيح والتعظيم والشكر لله تعالى . اي تقـديسَـه جل وعـلا تجـاه جلاله قولاً وفعلاً بقول : «**سبحان الله**» . وتعظيمـه تجـاه كمـالـه لفظـاً وعمـلاً بقول : «**الله اكبر**» . وشكـره تجاه جماله قلباً ولساناً وجسماً بقول : «**الحمد لله**» . اي أن التسبيـح والتكبيـر والتحميـد انمـا هو بمثـابـة نوى الصـلاة وبـذورهـا، فوُجِـدت هذه الثـلاثـة في جميـع حركات الصلاة واذكـارهـا . ولهـذا ـ ايضـاً ـ تُكـرّر هذه الكلمات الطيبة الثلاث ثلاثـاً وثـلاثين مرة عقب الصـلاة ، وذلـك للتأكيـد على معنى الصـلاة وتـرسيخـه ، إذ بهـذه الكلمات الموجزة المجملة يؤكّد معنى الصلاة ومغزاها .

---

(١٥) النكتـة : هي مسألـة لطيفـة اُخـرجت بدقـة نظـر وامعـان فكـر، وسُميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها ـ التعريفات للجرجاني ـ (المترجم) .

انكتة الثانية:

ان معنى العبـادة هو: سجـودُ العبـدِ بمحبـة خالصة وبتقدير واعجـاب في الحضـرة الالهيـة وامـام كمـال الـربـوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الالهية مشاهداً - في نفسه - تقصيرَه وعجزَه وفقرَه.

نعم، كما ان سلطنة الربوبية تتطلب العبودية والطاعة، فان قدسيتَها ونزاهتها هي ايضاً تتطلب أن يُعلن العبدُ - مع استغفاره برؤيـة تقصيـره - بأن ربَّـه منـزّهٌ عن اي نقص، وانـه مُتعالٍ على جميـع أفكـار أهـل الضـلالـة البـاطلة، وانـه مقدّس من جميع تقصيـرات الكـائنـات ونقائصِها. اي يعلن ذلك كله بتسبيحه، بقوله: «**سبحان الله**».

ثم ان قدرة الـربـوبيـة الكـاملة تطلب من العبـد كذلـك أن يلتجىء اليها، ويتوكل عليها - لرؤيته ضعفَ نفسِه الشديد وعجزَ المخلوقات - قائلاً: «**الله اكبر**» باعجاب وتقدير واستحسان تجاه عظمة آثار القدرة الصمدانية، ماضياً الى الركوع بكل خضوع وخشوع.

ثم ان رحمـة الـربـوبيـة الواسعة تتطلب ايضاً ان يُظهر العبدُ حاجـاتـه الخـاصـة وحـاجات جميع المخلوقات وفقرها بلسان السؤال والـدعـاء، وان يعلن احسـان ربه وآلاءه العميمة بالشكر

والثناء والحمد بقوله: «الحمد لله». أي أن افعال واقوال الصلاة تتضمن هذه المعاني. ولأجل هذه المعاني فُرضت الصلاة من لدنه سبحانه وتعالى.

النكتة الثالثة:

كما أن الانسان هو مثالٌ مصغّر لهذا العالم الكبير، وان سورة الفاتحة مثالٌ منوّر للقرآن العظيم، فالصلاة كذلك فهرس نوراني شامل لجميع العبادات، وخريطة سامية تشير الى أنماط العبادات للمخلوقات جميعاً.

النكتة الرابعة:

ان عقارب الساعة التي تعد الثواني والدقائق والساعات والايام، كلٌ منها يناظر الآخر، ويمثّل الآخر، ويأخذ كلٌ منها حكم الآخر.

كذلك في عالم الدنيا الذي هو ساعة اِلهية كبرى، فان دوران الليل والنهار الذي هو بحكم الثواني للساعة، والسنوات التي تعدّ الدقائق، وطبقات عمر الانسان التي تعد الساعات، وأدوار عمر العالم التي تعد الأيام، كل منها يناظر الآخر، ويتشابه معه، ويماثله، ويذكّر كل منها الآخر، ويأخذ حكمه. فمثلاً:

وقت الفجر الى طلوع الشمس : يشبـه ويذكّر ببداية الربيع وأولـه ، وبأوان سقـوط الانسان في رحم الأم ، وباليوم الأول من الايـام الستـة في خلق السموات والارض ، فينبّه الانسان الى ما في تلك الاوقات من الشؤون الالهية العظيمة .

امـا وقت الظهـر : فهـو يشبـه ويشيـر الى منتصف الصيف ، والى عنفـوان الشبـاب ، والى فترة خلق الانسان في عمر الدنيا ، ويذكّر ما في ذلك كله من تجليات الرحمة وفيوضات النعمة .

أمـا وقت العصـر : فهـو يشبـه موسم الخـريف ، وزمن الشيخـوخـة ، وعصر السعادة الذي هو عصر خاتم الرسل محمد عليـه الصـلاة والسـلام ، ويـذكّـر ما في ذلـك كله من الشؤون الالهية والآلاء الرحمانية .

أمـا وقت المغـرب : فأنـه يذكّـر بغـروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف ، ويذكّر أيضاً بوفاة الانسان ، وبدمار الدنيا عنـد قيـام السـاعـة ، ومـع ذلـك فهو يعلّم التجليات الجلالية ، ويوقظ الانسان من نوم الغفلة وينبهه .

أما وقت العشاء : فيذكّر بغشيان عالم الظلام وستره آثار عالم النهار بكفنه الاسود ، ويذكّر ايضاً بتغطية الكفن الابيض للشتاء وجـه الارض الميتـة ، وبوفاة حتى آثار الانسان المتوفى ودخولها تحت سـتـار النسيـان ، وبانسداد أبواب دار امتحان الدنيا نهائياً ،

ويعلن في ذلك كله تصرفات جلالية للقهّار ذي الجلال.

امـا وقت الليـل: فانـه يذكـر بالشتـاء، وبـالقبـر، وبعـالم البـرزخ، فضـلاً عن انـه يذكّر روح الانسان بمدى حاجتها الى رحمة الرحمن.

أما التهجد في الليل: فانه يذكّر بضرورته ضياء لليل القبر، ولظلمـات عالم البـرزخ، وينبّـه ويذكّر بنعم غير متناهية للمنعم الحقيقي عبـر هذه الانقـلابـات، ويعلن ايضـاً عن مدى أهليـة المنعم الحقيقي للحمد والثناء.

أما الصباح الثاني: فانه يذكّر بصباح الحشر. نعم، كما ان مجيء الصبـح لهـذا الليـل، ومجيء الربيع لهذا الشتاء معقول وضروري وحتمي، فان مجيء صباح الحشر وربيع البرزخ هما بالقطعية والثبوت نفسها.

فكـل وقت اذن ـ من هذه الاوقـات الخمسـة ـ كما انـه بداية انقـلاب عظيم، ويـذكـر بانقـلابـات اخرى عظيمة، فهو يذكّر ايضـا بمعجـزات القـدرة الصمـدانية وهدايا الرحمة الالهية، ـ سواء منهـا السنوية أو العصرية أو الدهرية ـ باشارات تصرفاتها اليومية العظيمة.

أي ان الصلاة المفروضة - التي هي وظيفة الفطرة وأساس العبودية والدِّين المفروض - لائقة جداً ومناسبة جداً في ان تكون في هذه الاوقات حقاً.

النكتة الخامسة:

ان الانسان - بفطرته - ضعيف جداً، ومع ذلك فما اكثر المنغصات التي تورثه الحزن والألم، وهو في الوقت نفسه عاجز جداً، مع ان اعداءه ومصائبه كثيرة جداً، وهو فقير جداً مع ان حاجاته كثيرة وشديدة. وهو كسول وبلا اقتدار مع ان تكاليف الحياة ثقيلة عليه، وانسانيته جعلته يرتبط بالكون جميعاً مع ان فراقَ ما يحبه وزوال ما يستأنس به يؤلمانه، وعقله يريه مقاصد سامية وثماراً باقية، مع ان يده قصيرة، وعمره قصير، وقدرته محدودة وصبره محدود.

فروح الانسان في هذه الحالة (في وقت الفجر)، احوج ما تكون الى أن تطرق - بالدعاء والصلاة - باب القدير ذي الجلال، وباب الرحيم ذي الجمال، عارضةً حالها أمامه، سائلة التوفيق والعون منه سبحانه، وما اشد افتقار تلك الروح الى نقطة استناد كي تتحمل ما سيأتي امامها من اعمال، وما ستحمل على كاهلها من وظائف في عالم النهار الذي يعقبه..

الا يفهم ذلك بداهةً؟

(وعند وقت الظهر) : ذلك الوقت الذي هو ذروة كمال النهار وميلانه الى الزوال، وهو أوان تكامل الاعمال اليومية، وفترة استراحة موقتة من عناء المشاغل، وهو وقت حاجة الروح الى التنفس والاستروواح مما تعطيه هذه الدنيا الفانية والاشغال المرهقة الموقتة من غفلةٍ وحيرةٍ واضطراب فضلاً عن انه أوان تظاهر الآلاء الالهية.

فخلاصُ روح الانسان من تلك المضايقات، وانسلالها من تلك الغفلة والحيرة، وخروجها من تلك الامور التافهة الزائلة، لا يكون الاّ بالالتجاء الى باب القيوم الباقي - وهو المنعم الحقيقي - بالتضرع والتوسل امامه مكتوف اليدين شاكراً حامداً لمحصّلة نِعَمه المتجمعة، مستعيناً به وحده، مع اظهار العجز امام جلاله وعظمته بالركوع، واعلان الذل والخضوع - باعجاب وتعظيم وهيام - بالسجود امام كماله الذي لا يزول، وأمام جماله الذي لا يحول... وهذا هو اداء صلاة الظهر، فما اجملها، وما ألَذها، وما أجدرها، وما أعظم ضرورتها.. ومن ثم فلا يحسبن الانسان نفسه انساناً اِن كان لا يفهم هذا.

(وعند وقت العصر) : الذي يذكّر بالموسم الحزين للخريف وبالحالة المحزنة للشيخوخة، وبالايام الأليمة لآخر الزمان، وبوقت ظهور نتائج الاعمال اليومية. فهو فترة حصول

المجموع الكلي الهائل للنعم الالهية، أمثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية، والقيام بخدمات طيبة. وهو كذلك وقت الاعلان بان الانسان ضيف مأمور، وبأن كل شيء يزول وهو بلا ثبات ولا قرار، وذلك بما يشير اليه انحناء الشمس الضخمة الى الأُفول.

نعم ان روح الانسان التي تنشد الابدية والخلود، وهي التي خُلقت للبقاء والابد، وتعشق الاحسان، وتتألم من الفراق، تنهض بهذا الانسان ليقوم وقت العصر ويسبغ الوضوء لاداء صلاة العصر، ليناجي متضرعاً امام باب الحضرة الصمدانية للقديم الباقي وللقيوم السرمدي، وليلتجيء الى فضل رحمته الواسعة، وليقدم الشكر والحمد على نعمه التي لا تحصى، فيركع بكل ذلٍّ وخضوع أمام عزة ربوبيته سبحانه ويهوي الى السجود بكل تواضع وفناء امام سرمدية الوهيته، ويجد السلوان الحقيقي والراحة التامة - لروحه - بوقوفه بعبودية تامة وباستعداد كامل امام عظمة كبريائه جل وعلا. فما اسماها من وظيفةٍ تأديةُ صلاة العصر بهذا المعنى! وما أليقها من خدمة! بل ما احقّه من وقتٍ لقضاء دَين الفطرة، وما اعظمه من فوزٍ للسعادة في منتهى اللذة. فمن كان انساناً حقاً فسيفهم هذا.

(وعند وقت المغرب) الذي يذكّر بوقت غروب المخلوقات

اللطيفة الجميلة لعالم الصيف والخريف في خزينة الودائع منذ ابتداء الشتاء، ويذكّر بوقت دخول الانسان القبر عند وفاته وفراقه الأليم لجميع محبوباته. وبوفاة الدنيا كلها بزلزلة سكراتها وانتقال ساكنيها جميعاً الى عوالم اخرى. ويذكّر كذلك باطفاء مصباح دار الامتحان هذه. فهو وقت ايقاظٍ وانذارٍ لاولئك الذين يعشقون - لحد العبادة - المحبوبات التي تغرب وراء اُفق الزوال. لذا فالانسان الذي يملك روحاً صافية كالمرآة المجلوة تشتاق - فطرةً - الى تجليات الجمال الباقي، ولأجل اداء صلاة المغرب في مثل هذا الوقت يولّي وجهه الى عرش عظمة مَن هو قديم لم يزل، ومن هو باقٍ لا يزال، ومَن هو يدبر أمر هذه العوالم الجسيمة ويبدّلها، فيدوّي بصوته قائلاً: (**الله اكبر**) فوق رؤوس هذه المخلوقات الفانية، مُطلقاً يده منها، مكتوفاً في خدمة مولاه الحق منتصباً قائماً عند مَن هو دائمٌ باقٍ جل وعلا ليقول: «**الحمد لله**» أمام كماله الذي لا نقص فيه، وامام جماله الذي لا مثيل له، مُثنياً امام رحمته الواسعة ليقول ﴿**اياك نعبد واياك نستعين**﴾. ليعرض عبوديته واستعانته تجاه ربوبية مولاه التي لا معين لها وتجاه الوهيته التي لا شريك لها، وتجاه سلطنته التي لا وزير لها. فيركع اظهاراً لعجزه وضعفه وفقره مع الكائنات جميعاً أمام كبريائه سبحانه التي لا منتهى لها، وامام قدرته التي

لا حدّ لها، واما عزته الى لا عجز فيها، مسبحاً ربَّه العظيم قائلاً: ﴿سبحان ربي العظيم﴾. ثم يهوي الى السجود امام جمال ذاته الذي لا زوال له، وامام صفاته المقدسة التي لا تتغير، وامام كمال سرمديته الذي لا يتبدل، مُعلناً بذلك حبَّه وعبوديتَه في اعجابٍ وافناء وذلٍ، تاركا ما سواه سبحانه قائلاً: ﴿سبحان ربي الاعلى﴾ واجداً جميلاً باقياً ورحيماً سرمدياً بدلاً من كل فانٍ. فيقدس ربَّه الاعلى المنزَّه عن الزوال المبرّأ من التقصير ويجلس للتشهد، فيقدّم التحيات والصلوات الطيبات لجميع المخلوقات هديةً باسمه الى ذلك الجميل الذي لم يزل والى ذلك الجليل الذي لا يزال، مجدداً بيعتَه مع رسوله الاكرم بالسلام عليه مُظهراً بها طاعته لأوامره، فيرى الانتظام الحكيم لقصر الكائنات هذا، ويُشهِدُه على وحدانية الصانع ذي الجلال، فيجدّد ايمانه وينوّره، ثم يشهد على دلاّل الربوبية ومبلّغ مرضياتها وترجمان آيات كتاب الكون الكبير ألا وهو محمد العربي ﷺ. فما ألطفَ وما أنزه أداء صلاة المغرب من مهمة ـ بهذا المضمون ـ، وما اعزّها واحلاها من وظيفة، وما أجملها وألذَّها من عبودية، وما اعظمها من حقيقة اصيلة.
وهكذا نرى كيف انها صُحبة كريمة وجلسة مباركة وسعادة خالدة في مثل هذه الضيافة الفانية.. أفيحسب ـ مَن لم يفهم

هذا ـ نفسه أنساناً؟ .

(وعند وقت العشاء) ذلك الوقت الذي تغيب في الافق حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار، ويخيّم الليلُ فيه على العالم، فيذكّر بالتصرفات الربانية لـ(مقلب اليل والنهار) وهو القدير ذو الجلال في قلبه تلك الصحيفة البيضاء الى هذه الصحيفة السوداء. ويذكّر كذلك بالاجراءات الالهية لـ(مسخر الشمس والقمر) وهو الحكيم ذو الكمال في قلبه الصحيفة الخضراء المزيِّنة للصيف الى الصحيفة البيضاء الباردة للشتاء، ويذكّر كذلك بالشؤون الالهية لـ(خالق الموت والحياة) وبانقطاع الآثار الباقية ـ بمرور الزمن ـ لأهل القبور من هذه الدنيا وانتقالها كلياً الى عالم آخر. فهو وقت يذكّر بالتصرفات الجلالية، وبالتجليات الجمالية لخالق الارض والسموات، وبانكشاف عالم الآخرة الواسع الفسيح الخالد العظيم، وبموت الدنيا الضيقة الفانية الحقيرة، ودمارها دماراً تاماً بسكراتها الهائلة. انها فترة ـ أو حالة ـ تُثبت أن المالك الحقيقي لهذا الكون بل المعبود الحقيقي والمحبوب الحقيقي فيه لا يمكن ان يكون الاّ مَن يستطيع ان يقلّب الليل والنهار والشتاء والصيف والدنيا والآخرة بسهولة كسهولة تقليب صفحات الكتاب، فيكتب

ويثبت ويمحو ويبدلّ، وليس هذا الا شأن القدير المطلق النافذ حكمه على الجميع جلّ جلاله.

وهكذا فرّوح البشر التي هي في منتهى العجز وفي غاية الفقر والحاجة، والتي هي في حيرة من ظلمات المستقبل وفي وَجَل مما تخفيه الايام والليالي. . تدفع الانسان عند ادائه لصلاة العشاء - بهذا المضمون - ان لا يتردد في أن يردد على غرار سيدنا ابراهيم عليه السلام [**لا احب الآفلين**]. فيلتجىء - بالصلاة - الى باب مَن هو المعبود الذي لم يزل ومَن هو المحبوب الذي لا يزال، مناجياً ذلك الباقي السرمدي في هذه الدنيا الفانية، وفي هذا العالم الفاني، وفي هذه الحياة المظلمة والمستقبل المظلم، لينشر على ارجاء دنياه النور من خلال صحبة خاطفةٍ ومناجاةٍ موقتة، ولينوّر مستقبله ويضمد جراح الزوال والفراق عما يحبّه من أشياء وموجودات ومن اشخاص واصدقاء وأحباب، بمشاهدة توجّه رحمةِ الرحمن الرحيم، وطلب نور هدايته. فينسى - بدوره - تلك الدنيا التي أنسته، والتي اختفت وراء العشاء، فيسكب عبرات قلبه، ولوعة صدره، على عتبة باب تلك الرحمة، ليقوم بوظيفة عبوديته النهائية قبل الدخول فيما هو مجهول العاقبة، ولا يعرف ما يُفعل به بعده، من نوم شبيه بالموت، وليختم دفتر اعماله اليومية

بحسن الخاتمة. ولأجل ذلك كله يقوم بأداء الصلاة، **فيتشرف** بالمثول امام مَن هو المعبود المحبوب الباقي - **بدلاً من** المحبوبات الفانية - وينتصب قائماً امام مَن هو القدير الكريم - بدلاً من جميع العجزة المتسولين - وليسمو بالمثول في حضرة مَن هو الحفيظ الرحيم لينجو من شر من يرتعد منهم من المخلوقات الضارة. فيستهلّ الصلاة بالفاتحة، اي بالمدح والثناء لرب العالمين الكريم الرحيم الذي هو الكامل المطلق والغني المطلق - بدلاً من مدح مخلوقات لا طائل وراءها وغير جديرة بالمدح وهي ناقصة وفقيرة؛ وبدلاً من البقاء تحت ذلّ المنّة والأذى، فيرقى الى مقام الضيف الكريم في هذا الكون، والى مقام الموظف المرموق فيه رغم انه ضئيل وصغير بل هو معدوم، وذلك بسموه الى مرتبة خطاب «اياك نعبد» اي انتسابه لمالك يوم الدين ولسلطان الازل والابد. فيقدّم بقوله ﴿**اياك نعبد واياك نستعين**﴾ عبادات واستعانات الجماعة الكبرى والمجتمع الاعظم لجميع المخلوقات طالباً الهداية الى الصراط المستقيم الذي هو طريقه المنوّر الموصل الى السعادة الابدية عبر ظلمات المستقبل بقوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ ويتفكر في كبريائه سبحانه وتعالى ويتأمل في أن هذه الشموس المستترة التي هي كالنباتات والحيوانات النائمة الآن وهذه النجوم

المنتبهة، جنود مطيعة مسخّرة لأمره جل وعلا، وان كل واحد منها ماهو الا مضباح في دار ضيافته هذه، وكل واحد منها خادم عامل، فيكبّر قائلاً: ﴿الله اكبر﴾ ليبلُغَ الركوع. ثم يتأمل بالسجدة الكبرى لجميع المخلوقات: كيف أن انواع الموجودات في كل سنة، وفي كل عصر - كالمخلوقات النائمة في هذا الليل - بل حتى الارض نفسها وحتى العالم كله، انما هي كالجيش المنظم، بل كالجندي المطيع، عندما تسرّح من وظيفتها الدنيوية بأمر: ﴿كن فيكون﴾، أي عندما تُرسل الى عالم الغيب تسجد في منتهى النظام مع الزوال على سجادة الغروب مكبّرة ﴿الله اكبر﴾. وهي تُبعث وتُحشر كذلك في الربيع - بنفسها أو بمثلها - بصيحة احياء وايقاظٍ صادر من أمر ﴿كن فيكون﴾ فيتأهب الجميع في خضوع وخشوع لأمر مولاهم الحق. فهذا الانسان الضعيف - اقتداء بتلك المخلوقات - يهوي الى السجود امام ديوان الرحمن ذي الكمال والرحيم ذي الجمال قائلاً: «الله اكبر» في حبٍ غامرٍ بالأعجاب وفي فنائيةٍ مفعمة بالبقاء وفي ذلّ مكللٍ بالعز.

فلا شك يا أخي قد فهمت ان اداء صلاة العشاء سموٌ وصعودٌ فيما يشبه المعراج، فما أجملها من وظيفةٍ وما احلاها من واجبٍ وما اسماها من خدمةٍ وما اعزّها وألذّها من عبودية وما

أليقها من حقيقة اصيلة!.

اي ان كل وقت من هذه الاوقات إشارات لانقلاب زمني عظيم، وإمارات لاجراءات ربانية جسيمة، وعلامات لإنعامات الهية كليّة، لذا فان تخصيص صلاة الفرض - التي هي دَين الفطرة - في تلك الاوقات هو منتهى الحكمة.

﴿سُبحانك لا عِلمَ لَنا الاّ ما عَلَّمتَنا اِنك اَنتَ العليم الحكيم﴾.. اللهم صل وسلم على مَن ارسلتَه معلّماً لعبادك، ليعلّمهم كيفية معرفتك، والعبودية لك، ومعرّفاً لكنوز اسمائك، وترجماناً لآيات كتاب كائناتك، ومرآةً - بعبوديته - لجمال ربوبيتك، وعلى آله وصحبه اجمعين وارحمنا وارحم المؤمنين والمؤمنات. آمين برحمتك يا ارحم الراحمين.

الكلمة الحادية والعشرون

«المقـــام الاول»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿إِنَّ الصلاة كانت على المؤمنينَ كتاباً مَوقوتاً﴾[16]

قال لي احــدهم يومـاً وهــو كبيـر سنـاً وجسمـاً ورتبـة: ان اداء الصـلاة حسنٌ وجميـل، ولكن تكـرارهـا كل يوم، وفي خمسـة اوقات كثير جداً فكثرتها هذه تجعلها مملّة!..

وبعد مرور فترة طويلة على هذا القول، اصغيت الى نفسي فاذا هي ايضـاً تردد الكـلام نفسه!!. فتأملت فيها مليّاً، واذا بها قد أخـذت بطـريق الكسل الدرسَ نفسه من الشيطان، فعلمتُ عندئذ ان ذلك الرجل كأنه قد نطقَ بتلك الكلمات بلسان جميع النفـوس الامّـارة بالسـوء، أو أُنطق هكذا... فقلت: ما دامت نفسي التي بين جنبيّ امارةٌ بالسوء فلابد أن ابدأ بها أولاً لأن «من عجز عن اصلاح نفسه فهو عن غيرها اعجز».. فخاطبتها:

يا نفسي!.. اسمعيهـا مني «**خمسـة تنبيهـات**» مقـابـل ما

---

(16) سورة النساء: ١٠٢.

تفـوهتِ به، وانتِ منغمســة في الجهل المركب، سادرة في نوم الغفلة على فراش الكسل . .

التنبيه الاول:

يانفسي الشقية! . . هل ان عمركِ ابدي؟؟ وهل عندك عهد قطعي بالبقـاء الى السنـة المقبلة بل الى الغـد؟؟ فالذي جعلكِ تملّين وتسأمين من تكـرار الصـلاة هو توهمكِ الابدية والخلود، فتظهرين الدلال والغنج وكأنك بترفك مخلّدة في هذه الدنيا.

فان كنت تفهمين: ان عمركِ قصير، وانه يمضي هباء دون فائـدة، فلا ريب أن صرف جزء من اربعـة وعشرين منه في اداء خدمـة جميلة ووظيفـة مريحـة لطيفـة، وهي رحمـة لك ووسيلة لحيـاة سعيـدة خالـدة، لا يكـون مدعاة الى الملل والسأم، بل وسيلة مثيرة لشوق خالص ولذوقٍ رائع رفيع.

التنبيه الثاني:

يا نفسي الشـرهـة! . . انـكِ يوميـاً تاكلين الخبـز، وتشربين الـمـاء، وتـتـنـفسين الهـواء، أمـا يورث هذا التكـرار مللاً وضجراً؟؟ . . لا شك لا . . لان تكرار الحاجة لا يجلب الملل بل يجدّد اللذة، لهذا: فالصلاة التي تجلب الغذاء لقلبي، وماء الحيـاة لروحي، ونسيم الهـواء للّطيفـة الـربـانيـة الكـامنـة في جسمي، لابد انها لا تجعلك تملّين ولا تسأمين ابداً.

نعـم! ان الـقلب المتعـرض لاحـزانٍ وآلام لا حدّ لهـا، المفتـون بآمـال ولذائذ لا نهاية لها، لا يمكنه ان يكسب قوةً ولا غذاء الا بطـرقِ باب الـرحيم الكـريم، القـادر على كل شيء، بكل تضرع وتوسل.

وان الـروح المتعلقـة مع اغلب المـوجودات الآتية والراحلة سريعـاً في هذه الـدنيـا الفانية، لا تشرب ماء الحياة الاّ بالتوجه بالصلاة الى ينبوع رحمة المعبود الباقي والمحبوب السرمدي.

وان السـر الانسـاني الشـاعـر الـرقيق اللطيف، وهو اللطيفة الـربـانيـة النـورانيـة، والمخلوق للخلود، والمشتـاق له فطرةً، والمـرآة العـاكسة لتجليات الذات الجليلة... لابد انه محتاج أشـد الحـاجـة الى التنفس، في زحمـة وقسـاوة وضغـوط هذه الاحـوال الـدنيـوية الساحقة الخانقة العابرة المظلمة، وليس له ذلك الاّ بالاستنشاق من نافذة الصلاة.

التنبيه الثالث:

يا نفسي الجـزعة!.. انك تضطر بين (اليوم) من تذكر عناء العبـادات التي قمت بهـا في (الأيـام الماضية)، ومن صعوبات الصـلاة وزحمـة المصـائب السـابقة، ثم تتفكرين في واجبات العبـادات في (الايـام المقبلة) وخـدمات اداء الصلوات، وآلام المصـائب، فتظهـرين الجزع، وقلة الصبر ونفاده. هل هذا أمرٌ

يصدر ممَّن له مسكة من عقل؟؟. ان مثلكِ في عدم الصبر هذا مثلُ ذلك القائد الاحمق الذي وجَّه قوةً عظيمة من جيشه الى الجناح الأيمن للعدو، في الوقت الذي اِلتحقَ ذلك الجناح من صفوف العدو الى صفّه، فاصبح له ظهيراً. ووجّه قوتَه الباقية الى الجناح الايسر للعدو، في الوقت الذي لم يكن هناك أحدٌ من الجنود. فأدرك العدو نقطة ضعفه فسدد هجومَه الى القلب فدمّره هو وجيشَه تدميراً كاملاً.

نعم انك تشبهين هذا القائد الطائش، لأن: صعوبات الايام الماضية وأتعابها قد ولّت، فذهبت آلامها وظلت لذتها وانقلبت مشقتها ثواباً، لذا لا تولّد مللاً بل: شوقاً جديداً، وذوقاً نديّاً، وسعياً جاداً دائماً للمضي والاقدام. أما الايام المقبلة، فلانها لم تأتِ بعدُ، فان صرف التفكير فيها من الآن نوعٌ من الحماقة والبله، اذ يشبه ذلك: البكاء والصراخ من الآن، لما قد يحتمل ان يكون من العطش والجوع في المستقبل.

فما دام الامر هكذا، فان كان لك شيء من العقل، ففكري من حيث العبادة في هذا اليوم، وفي هذا اليوم بالذات. قولي: سأصرف ساعة منه في واجبٍ مهم لذيذ جميل، وفي خدمةٍ سامية رفيعة ذات أجر عظيم وكلفة ضئيلة... وعندها تشعرين: أن فتورك المؤلم قد تحوّل الى همة حلوة، ونشاط

لذيذ .

فيا نفسي الفارغة من الصبر . انك مكلفة بثلاثة أنواع من الصبر

الأول : الصبر على الطاعة .

الثاني : الصبر عن المعصية .

الثالث : الصبر عند البلاء .

فان كنتِ فطنة فخذي الحقيقة الجلية في مثال القائد ـ في هذا التنبيه ـ عبرةً ودليلاً ، وقولي بكل همة ورجولة : يا صبور . ثم خذي على عاتقك الانواع الثلاثة من الصبر . واستندي الى قوة الصبر المودعة فيك وتجمّلي بها ، فانها تكفي للمشقات كلها ، وللمصائب جميعها ما لم تبعثريها خطأ في أمور جانبية . .

التنبيه الرابع :

يا نفسي الطائشة ! . . يا تُرى هل ان اداء هذه العبودية دون نتيجة وجدوى ؟ ! وهل ان أجرتها قليلة ضئيلة حتى تجعلك تسأمين منها ؟ . مع ان أحدنا يعمل الى المساء ويكدّ دون فتور اِن رغّبه احدٌ في مالٍ أو أرهبه .

ان الصلاة التي : هي قوت لقلبك العاجز الفقير وسكينةٌ له في هذا المضيف الموقت وهو الدنيا . وهي غذاءٌ وضياء لمنزلك الذي لابد انك صائرة اليه وهو القبر . وهي عهدٌ وبراءةٌ في

محكمتك التي لا شك انك تحشرين اليها. وهي التي ستكون نوراً وبُـراقـاً على الصـراط المستقيم الـذي لابـد انـك سائـرة عليـه. . . فصـلاة هذه نتـائجها هل هي بلا نتيجة وجدوى؟ أم انها زهيدة الاجرة؟.

واذا وَعَدَكِ أحدٌ بهدية مقدارها مائة ليرة، فسوف يستخدمك مائـة يوم وانت تسعين وتعملين معتمـدة على وعـده دون ملل وفتـور، رغم انـه قد يخلف الـوعـد. فكيف بمن وعدك، وهولا يخلف الـوعـد مطلقاً؟؟ فخلف الوعد عنده محال! وعدك اجرةً وثمنـاً هي الجنـة، وهدية عظيمة هي السعادة الخالدة لتؤدي له واجبـاً ووظيفـة لطيفـة مريحة وفي فترة قصيرة جداً. الا تفكرين في أنك ان لم تقومي بتلك الوظيفة والخدمة الضئيلة، أو قمتِ بهـا دون رغبـة أوبشكـلٍ متقطع، فانك اذن تستخفين بهديته، وتتهمينـه بوعـده!، الا تستحقين اذن تأديبـاً شديـداً وتعـذيبـاً اليمـاً؟؟. الا يثيـر همتك لتؤدي تلك الوظيفة التي هي في غاية اليسـر واللطف خوف السجن الابـدي وهـو جهنم، علمـاً انك تقـومين باعمـال مرهقة وصعبة دون فتور خوفا من سجن الدنيا، واين هذا من سجن جهنم الابدي؟!

التنبيه الخامس:

يا نفسي المغـرمـة بالـدنيـا!.. هل ان فتـورك في العبـادة

وتقصيرك في الصلاة ناشئان من كثرة مشاغلك الدنيوية؟ ام انك لا تجدين الفرصة لغلبة هموم العيش؟!

فيا عجباً هل انتِ مخلوقة للدنيا فحسب حتى تبذلي كل وقتك لها؟؟. تأملي!! انك لا تبلغين اصغرَ عصفور من حيث القدرة على تدارك لوازم الحياة الدنيا رغم انك أرقى من جميع الحيوانات فطرةً. لِمَ لا تفهمين من هذا أن وظيفتكِ الاصلية ليس هي الانهماك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات، وانما السعيُ والدأبُ لحياة خالدة كالانسان الحقيقي. مع هذا فان اغلب ما تذكرينه من المشاغل الدنيوية، هي مشاغل ما لايعنيك من الامور، وهي التي تتدخلين فيها بفضول، فتهدرين وقتك الثمين جداً بما لا قيمة له ولا ضرورة ولا فائدة منه... كتعلّم عدد الدجاج في امريكا أو نوع الحلقات حول زحل.. وكأنك تكسبين بهذا شيئاً من الفَلك والاحصاء!!، فتَدَعين الضروري والأهم والالزم من الامور كأنك ستعمّرين آلاف السنين؟.

فان قلت: ان الذي يصرفني ويفترني عن الصلاة والعبادة ليس مثل هذه الامور التافهة، وانما هي امور ضرورية لمطالب العيش. اذن فاسمعي مني هذا المثل:

ان كانت الاجرة اليومية لشخصٍ مائة فلس وقال له أحدٌ:

تعـال واحفـر ـ لعشـر دقـائق ـ هذا المكـان فانـك ستجد حجراً كريمـاً كالـزمـرد قيمتُـه (١٠٠) دينار، كم يكون عذراً تافهاً ـ بل جنـونـاً ـ إن رفض ذلـك بقـولـه: لا.. لا أعمل.. لأن اجرتي اليومية ستنقص!..

وكـذلـك حالك، فان تركت الصلاة المفروضة، فان جميع ثمـار سعيـك وعملك في هذا البستـان ستنحصر في نفقةٍ دنيوية تافهـة دون ان تجنى فائـدتهـا وبـركتهـا. بينمـا لو صرفت وقت راحتــك بين فتـرات العمـل في اداء الصـلاة، التي هيَ وسيلةٌ لراحــة الـروح، ولتنفس القلب، يضـاف عنـدئـذٍ الى نفقتـك الأُخروية وزاد آخرتك ـ مع نفقتك الدنيوية المباركة ـ ما تجدينه من منبع عظيم لكنزَين معنويين دائمين وهما:

الكنز الأول: ستأخـذ[١٧] حظك ونصيبك من «تسبيحات» كل ما هيأته ـ بنيّة خالصة ـ من ازهار وثمار ونباتات في بستانك.

الكنز الثـاني: ان كل مَن يأكـل من محـاصيـل بستانك ـ سواء أكـان حيـوانـاً أم انسـانـاً شاريـاً أو سارقـاً ـ يكون بحكم

---

(١٧) المخاطب هنا هو السائل الذي كان يعمل في بستان في (بارلا). «وهي قرية نائية على جبال طوروس. ظل فيها الاستاذ النورسي ثماني سنوات ونصف السنة تحت الاقامة الجبرية. (المترجم).

«صـدقـةٍ جاريـةٍ» لك، فيما اذا نظرت الى نفسك كأنك وكيـلٌ ومـوظف لتـوزيـع مال الله سبحـانـه وتعـالى على مخلوقاته. اي تتصرف باسم الرزاق الحقيقي وضمن مرضاته.

والآن تأمـل في الـذي ترك الصـلاة، كم هو خاسرٌ خسـراناً عظيمـاً؟. وكم هو فاقـد من تلك الثـروة الهـائلة؟. وكيف انـه سيبقى محـرومـاً ومفلسـاً من ذينـك الكنـزين الـدائمين اللذين يمـدان الانسـان بقـوة معنـويـة عظيمة للعمل ويشوّقانه للسعي والنشاط؟.. حتى إذا بلغ ارذل عمره، فانه سوف يملّ ويضجر مخاطباً نفسه: وماذا عليّ؟! لِمَ أتعب نفسي؟ لأجل مَن أعمل؟ فانني راحل من هذه الدنيا غداً!.. فيلقي نفسه في أحضان الكسل..

بينمـا الـرجـل الاول يقـول: سأسعى سعياً حثيثاً في العمل الحـلال بجـانب عبـادتي المتزايدة كيما أرسل الى قبري ضياءً أكثر وادّخر لآخرتي ذخيرة أزيد.

والخلاصة:

اعلمي ايتها النفس... ان الامس قد فاتكِ. أما الغد فلم يأت بعـد، وليس لديـك عهـد أنـك ستملكينـه، لهذا فاحسبي

عمرك الحقيقي هو هذا اليوم. وأقل القليل ان تلقي ساعة منه في صندوق الادّخار الاخروي، وهو المسجد أو السجادة، لتضمني المستقبل الحقيقي الخالد.

واعلمي كذلك أن كل يوم جديد هو بابٌ ينفتح لعالم جديد - لك ولغيرك - فان لم تؤدي فيه الصلاة فان عالمَ ذلك اليوم يرحل الى عالم الغيب مُظلماً شاكياً محزوناً، وسيشهد عليك..

وان لكلٍ منا عالمه الخاص من ذلك العالم، وان نوعيته تتبع عملنا وقلبَنا، مثَلُه في ذلك مثلُ المِرآة، تظهر فيها الصورة تبعاً للونها ونوعيتها، فان كانت مسودّة فستظهر الصورة مسودّة.. وان كانت صقيلة فستظهُر الصورة واضحة، وإلا فستظهر مشوهة تضخم أتفه شيء واصغره.. كذلك أنت، فبقلبك وبعقلك وبعملك يمكنك ان تغيري صورَ عالمكِ، وباختيارك وطوع ارادتك يمكنك ان تجعلي ذلك العالم يشهد لك أو عليك.

وهكذا ان اديت الصلاة وتوجهت بصلاتك الى خالق ذلك العالم ذي الجلال، فسيتنور ذلك العالم المتوجه اليك حالاً، وكأنك قد فتحت بنيّة الصلاة مفتاح النور فاضاءه مصباح صلاتك، وبدّد الظلمات فيه... وعندها تتحول وتتبدل جميع الاضطرابات والاحزان التي حولك في الدنيا فتراها نظاماً

حكيماً، وكتابة ذات معنى بقلم القدرة الربانية، فينساب نورٌ من انوار ﴿الله نور السموات والارض﴾ الى قلبك، فيتنور عالم يومك ذاك، وسيشهد، بنورانيته لك عند الله...

فيا أخي حذار ان تقول: أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة؟. اذ كما تحمل نواةُ التمر في طياتها صفات النخلة الباسقة ـ الفرق فقط في التفاصيل والاجمال ـ كذلك صلاة العوام ـ ممن هم امثالي وامثالك ـ فيها حظٌ من ذلك النور وسرٌ من اسرار تلك الحقيقة، كما هي في صلاة ولي من أولياء الله الصالحين ولو لم يتعلق بذلك شعوره. أما تنورها فهي بدرجات متفاوتة، كتفاوت المراتب الكثيرة التي بين نواة التمر الى النخلة. ورغم أن الصلاة فيها مراتب اكثر فان جميع تلك المراتب فيها أساس من تلك الحقيقة النورانية.

اللهم صل وسلم على من قال [الصلاة عماد الدين] وعلى آله وصحبه اجمعين.

الكلمة الحادية والعشرون

«المقـــام الثاني»

[يتضمن خمسة مراهم لخمسة جروح قلبية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وقل ربِّ اَعوذُ بكَ من هَمَزات الشياطين. واَعوذُ بكَ ربِّ اَن يَحضُرون﴾(١٨)

ايهـا الاخ المبتلى بداء الـوسـوسـة! ليت شعـري هل تعلم بمـاذا تشبـه وسـوستـك؟ . إنها أشبه بالمصيبة؛ تبدأ صغيرة ثم تكبـر شيئـاً فشيئاً على مدى اهتمامك بها، وبقدر اهمالك اياها تزول وتفنىٰ، فهي تعظم اذا استعظمتَها وتصغر اذا استصغرتَها. واذا ما خفتَ منها داستك ودوّختك بالعلل، وان لم تَخَفْ هانَتْ وخَنَستْ وتـوارت. وان لم تعـرف حقيقتهـا استمرت واستقرت، بينمـا اذا عرفت حقيقتهـا وسَبَـرتَ غورها تلاشت واضمحلت. فمادام الأمر هكذا فسأشرح لك خمسة وجوه - من وجوهها التي تحـدث كثيـراً - عسىٰ ان يكون بيانها - بعون الله شفاء لصدورنا

---

(١٨) سورة المؤمنون: ٩٧-٩٨.

نحن كلينا . ذلك لأن الجهل مجلبة للوساوس، بينما العلم على نقيضه دافع لشرها . فلو جهلتها اقبلت ودنت، واذا ما عرفتها ولّت وادبرت .

الوجه الاول ـ الجرح الأول:

ان الشيطان يلقى اولاً بشبهته في القلب، ثم يراقب صداها في الاعماق، فاذا انكرها القلب انقلب من الشبهة الى الشتم والسبّ، فيصوّر أمام الخيال ما يشبه الشتم من قبيح الخواطر السيئة والهواجس المنافية للآداب، مما يجعل ذلك القلب المسكين يئن تحت وطأة اليأس ويصرخ: واحسرتاه! . وامصيبتاه! . . فيظن الموسوس ان قلبه آثم، وانه قد اقترف السيئات حيال ربه الكريم، ويشعر باضطراب وانفعال وقلق، فينفلت من عقال السكينة والطمأنينة، ويحاول الانغماس في اغوار الغفلة .

أما ضماد هذا الجرح فهو:

ايها المبتلى المسكين! لا تخف ولا تضطرب! لأن مامرّ أمام مرآة ذهنك ليس شتماً ولا سبّاً، وانما هو مجرد صورٍ وخيالاتٍ تمر مروراً أمام مرآة ذهنك وحيث ان تخيل الكفر ليس كفراً، فان تخيل الشتم ايضاً ليس شتماً، اذ من المعلوم في البديهية المنطقية: ان التخيل ليس بحكم بينما الشتم حُكمٌ .

فضلاً عن هذا فان تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن قد صدرت من ذات قلبك، حيث أن قلبك يتحسر منها ويتألم. ولعلها آتية من لمّة شيطانية قريبة من القلب. لذا فان ضرر الوسوسة انما هو في توهم الضرر، اي ان ضرره على القلب هو ما نتوهمه نحن من اضرارها. لأن المرء يتوهم تخيلاً ـ لا اساس له ـ كأنه حقيقة، ثم ينسب اليه من اعمال الشيطان ما هو بريء منه، فيظن ان همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو، ويتصور اضرارها فيقع فيها. وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات.

الوجه الثاني:

عندما تنطلق المعاني من القلب تنفذ في الخيال مجردةً من الصور، وتكتسي الاشكال والصور هناك. والخيال هو الذي ينسج دائماً ـ ولأسباب معينة ـ نوعاً من الصور، ويُعرض ما يهتم به من الصور على الطريق، فأيما معنىً يرد فالخيال إما يُلبسه ذلك النسيج، أو يعلقه عليه، أو يلطخه به، أو يستره به، فإن كانت المعاني منزّهة ونقية، والصور والانسجة ملوثة دنيئة فلا إلباس ولا إكساء، وانما مجرد مسّ فقط، فمن هنا يلتبس على الموسوس أمر التماس فيظنه تلبساً وتلبيساً، فيقول في نفسه؛ «يا ويلتاه! لقد تردى قلبي في المهاوي، وستجعلني هذه الدناءة والخساسة النفسية من المطرودين من رحمة الله»،

فيستغل الشيطان هذا الوتر الحساس منه استغلالاً فظيعاً

ومرهم هذا الجرح العميق هو:

كما لا يؤثر في صلاتك ولا يفسدها ما في جوفك من نجاسة، بل يكفي لها طهارة حسية وبدنية، كذلك لا تضر مجاورة الصور الملوثة بالمعاني المنزّهة والمقدسة. مثال ذلك:

قد تكون متدبراً في آية من آيات الله، واذا بأمر مهيّج من مرضٍ يفاجئك، أو من تدافع الأخبثين، يلحّ على خيالك بشدة، فلابد أن خيالك سينساق الى حيث الدواء، أو قضاء الحاجة ناسجاً ما يقتضيه من صور دنيئة. فتمر المعاني الواردة في تدبرك من بين الصور الخيالية السافلة. دعها تمر، فليس ثمة ضرر ولا لوثة ولا خطورة. انما الخطورة فقط هي في تركيز الفكر فيها، وتوهم الضرر منها.

الوجه الثالث:

هناك بعض علاقات خفية تسود بين الاشياء، وربما توجد خيوط من الصلة حتى بين ما لا نتوقعه من الاشياء، هذه الخيوط إما انها قائمة بذاتها، اي انها حقيقية، أو أنها من نتاجات خيالك الذي صنع هذه الخيوط ـ حسب ما ينشغل به من عمل ـ وهذا هو السر في توارد خيالات سيئة احياناً عند النظر في ما

يخص اموراً مقدسة، اذ «التناقض الذي يكون سبباً للابتعاد في الخارج يكون مدعاة للقرب والتجاور في التصور والخيال» كما هو معلوم في علم البيان. أي ان ما يجمع بين صورتي الشيئين المتناقضين ليس الاّ الخيال. ويطلق على هذه الخواطر الناتجة بهذه الوسيلة: تداعى الافكار. مثال ذلك:

بينما انت تناجي ربك في الصلاة بخشوع وتضرع وحضور قلب مستقبلاً الكعبة المعظمة، اذا بتداعي الافكار هذا يسوقك الى امور مشينة مخجلة لا تعنيك بشيء. فاذا كنت - يا اخي - مبتلى بتداعي الافكار هذه، فاياك اياك ان تقلق أوتجزع، بل عد الى حالتك الفطرية حالما تنتبه لها. ولا تشغل بالك قائلاً: لقد قصّرت كثيراً.. ثم تبدأ بالتحري عن السبب.. بل مر عليها مرّ الكرام لئلا تقوى تلك العلاقات الواهية العابرة بتركيزك عليها، اذ كلما اظهرت الأسى والاسف وزاد اهتمامك بها انقلب ذلك التخطر الى عادة تتأصل تدريجياً حتى تتحول الى مرض خيالي. ولكن لا.. لاتخش ابداً، انه ليس بمرض قلبي، لأن هذه الهواجس النفسية والتخطر الخيالي هي في اغلب الحالات تتكون رغماً عن ارادة الانسان وهي غالباً ما تكون لدى مرهفي الحس والأمزجة الحادة. والشيطان يتغلغل عميقاً مع هذه الوساوس.

أما علاج هذا الداء فهو:

اعلم انــه لا مسؤوليـة في تداعي الافكـار، لأنهـا لا اراديـة غالبـاً، اذ لا اختـلاط ولا تماس فيها وانما هي مجرد مجاورة ولا شيء بعـد ذلـك، لذا فلا تسـري طبيعـة الافكار بعضها ببعض ومن ثم فلا يضر بعضها بعضاً. اذ كما ان مجاورة ملائكة الالهام للشيطـان حول القلب لا بأس فيـه، ومجـاورة الابـرار للفجـار وقـرابتهم ووجـودهم في مسكن واحـد لا ضرر فيـه، كذلـك اذا تداخلت خواطـر سيئـة غيـر مقصـودة بين أفكـار طاهرة نزيهة لا يضـر في شيء، الاّ اذا كانت مقصودة، أو أن تشغل بها نفسك كثيـراً، متـوهمـاً ضررهـا بك. وقـد يكـون القلب احياناً مرهقاً فينشغــل الفكــر بشيء ما ـ كيفمـا اتفق ـ دون جدوى، فينتهـز الشيطان هذه الفرصة ويقدّم الاخيلة الخبيثة وينثرها هنا وهناك.

الوجه الرابع:

هو نوع من الــوسـوسـة النـاشئـة من التشـدد المفـرط لدى التحـري عن الأكمـل الاتم من الاعمـال. فكلمـا زاد المرء في التشـدد هذا ـ باسم التقـوى والورع ـ ازداد الأمر سوءاً وتعقيداً، حتى ليـوشـك أن يقـع في الحرام في الوقت الذي يبتغي الوجه الأولى والأكمل في الاعمال الصالحة. وقد يترك «واجباً» بسبب من تحـرّيـه عن «سنة»، حيث يسأل نفسه دائماً عن مدى صحة

عمله وقبوله، فتراه يعيده ويكرره، قائلاً: «ترى هل صحّ عملي؟» حتى يطول به الأمر فييأس، ويستغل الشيطان وضعه هذا فيرميه بسهامه ويجرحه من الاعماق.

ولهذا الجرح دواءان اثنان:

الدواء الاول: اعلم ان أمثال هذه الوساوس لا تليق الاّ بالمعتزلة الذين يقولون «ان افعال المكلفين من حيث الجزاء الاخروي حسنة أو قبيحة في ذات نفسها، ثم يأتي الشرع فيقرر ان هذا حسن وهذا قبيح. اي ان الحسن والقبح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الاشياء - حسب الجزاء الاخروي - أما الاوامر والنواهي فهي تابعة لذلك ولأقرارها». ولذلك فان طبيعة هذا المذهب تؤدى بالانسان الى أن يستفسر دائماً كل اعماله: «ترى هل تم عملي على الوجه الاكمل المُرضي كما هو في ذاته أم لا؟». اما اصحاب الحق وهم أهل السنة والجماعة فيقولون: «ان الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء فيكون حسناً وينهى عن شيء فيكون قبيحاً» فبالأمر والنهي يتحقق الحُسن والقبح. اي أن الحسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلَّف، ويتعلقان بحسب خواتيمها في الآخرة دون النظر اليها في الدنيا، مثال ذلك:

لو توضأت أو صليت، وكان هناك شيء ما خفي عليك يفسد صلاتك أو وضوءك، ولم تطلع عليه. فصلاتك ووضوءك في هذه الحالة صحيحان وحسنان في آن واحد. وعند المعتزلة: انهما قبيحان وفاسدان حقيقةً ولكنهما مقبولان منك لجهلك، اذ الجهل عذر».

وهكذا ايها الأخ المبتلى، فأخذاً بمذهب أهل السنة والجماعة يكون عملك صحيحاً لا غبار عليه نظراً لموافقته ظاهر الشرع. واياك ان توسوس في صحة عملك، ولكن اياك ان تغتر به ايضاً، لانك لا تعلم علم اليقين: أهو مقبول عند الله أم لا؟.

الدواء الثاني: اعلم ان الاسلام دين الله الحق، دين يسر لا حرج فيه، وان المذاهب الأربعة كلها على الحق. فان ادراك المرء لتقصيره يتلافى بالاستغفار الذي هو أثقل ميزاناً من الغرور الناشيء من اعجابه بالاعمال الصالحة. لذا فان يرى مثل هذا المسوس نفسه مقصراً في عمله ويستغفر ربه خيرٌ له ألف مرة من أن يغتر اعجاباً بعمله. فما دام الأمر هكذا، فاطرح الوساوس واصرخ في وجه الشيطان: ان هذا الحال حرجٌ، وان الاطلاع على حقيقة الاحوال أمرٌ صعب جداً، بل ينافي اليُسر في الدين، ويخالف قاعدة «لا حرج في الدين» و«الدين يُسر».

ولابد أن عملي هذا يوافق مذهباً من المذاهب الاسلامية الحقة، وهذا يكفيني. حيث يكون وسيلة لأن ألقي بنفسي بين يدي خالقي ومولاي ساجداً متضرعاً أطلب المغفرة، واعترف بتقصيري في العمل، وهو السميع المجيب.

الوجه الخامس:

وهو الوساوس التي تتقمص اشكال الشبهات في قضايا الايمان:

فكثيراً ما يلتبس على الموسوس المحتار خلجات الخيال فيظن انها من بنات عقله، اي يتوهم ان الشبهات التي تنتاب خياله كأنها مقبولة لدى عقله، اي أنها من شبهات عقله، فيظن ان اعتقاده قد مسّه الخلل... وقد يظن الموسوس احياناً اخرى ان الشبهة التي يتوهمها انما هي شك يضرّ بايمانه... وقد يظن تارة اخرى ان ما يتصوره من رؤى الشبهات كأن قد صدّقه عقله... وربما يحسب ان كل تفكير في قضايا الكفر كفراً، اي أنه يحسب ان كل تحرٍ وتمحيص، وكل متابعة فكرية ومحاكمة عقلية محايدة لمعرفة اسباب الضلالة انه خلاف الايمان. فأمام هذه التلقينات الشيطانية الماكرة يرتعش ويرتجف، ويقول: «واويلاه! لقد ضاع قلبي وفسد وحار اعتقادي واختل». وبما أنه لا يستطيع ان يصلح تلك الاحوال ـ

وهي غير ارادية على الأغلب ـ بارادته الجزئية، يتردى في هاوية اليأس القاتل . .

أما العلاج لهذا الجرح فهو: اعلم! ان توهم الكفر ليس كفراً كما ان تخيل الكفر ليس كفراً وان تصور الضلالة ليس ضلالة مثلما أن التفكير في الضلالة ليس ضلالة، ذلك لأن: التخيل والتوهم والتصور والتفكر . . كل اولئك متباين ومتغاير كلياً عن التصديق العقلي والاذعان القلبي. اذ التخيل والتوهم والتصور والتفكر امور حرة طليقة ـ الى حدٍ ما ـ لذلك فهي لا تحفل بالجزء الاختياري المنبثق من ارادة الانسان، ولا ترضخ كثيراً تحت التبعات الدينية. بينما التصديق والاذعان ليسا كذلك، فهما خاضعان لميزان، ولأن كلاً من التخيل والتوهم والتصور والتفكر ليس بتصديق وإذعان فلا يعدّ شبهةً ولا تردداً. لكن اذا تكررت هذه الحالة ـ دون مبرر ـ وبلغت الى حالة من الاستقرار في النفس فقد يتمخض عنها لون من الشبهات الحقيقية، ثم قد ينزلق الموسوس ـ بالتزامه الطرف المخالف باسم المحاكمات العقلية الحيادية أو باسم الانصاف ـ الى حالة يلتزم المخالف دون اختيار منه، وعندها يتنصل من الالتزامات الواجبة عليه تجاه الحق، فيهلك؛ اذ تتقرر في ذهنه حالة اشبه ما يكون بالمفوّض والمخوّل من قبل الطرف المخالف ـ اي

الخصم ـ أو الشيطان .

ولعل أهم نوع من هذه الوسوسة الخطيرة هو:

ان الموسوس يلتبس عليه «الامكان الذاتي» و«الامكان الذهني» أي أنه يتوهم بذهنه ويشك بعقله ما يراه ممكناً في ذاته، علماً بأن هنالك قاعدة كلامية في «علم المنطق» تنص على: «ان الامكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي، ومن ثم فلا تعارض ولا تضاد بينه وبين الضرورات الذهنية وبديهياتها» ولتوضيح ذلك نسوق هذا المثال:

من الممكن ان يغور البحر الاسود الآن، فهذا شيء محتمل الوقوع بالامكان الذاتي، الاّ اننا نحكم يقيناً بوجود البحر المذكور في موقعه الحالي، ولا نشك في ذلك قطعاً. فهذا الاحتمال الامكاني والامكان الذاتي لا يولدان شبهة ولا شكاً، بل لا يخلان بيقيننا أبداً.

ومثال آخر: من الممكن الاّ تغيب الشمس اليوم، ومن الممكن الاّ تشرق غدا، الاّ أن هذا الامكان والاحتمال لا يخل بيقيننا بأي حال من الاحوال، ولا يطرأ اصغر شبهة عليه. وهكذا بمثل هذا: فالاوهام التي ترد من الامكان الذاتي على غروب الحياة الدنيا وشروق الآخرة التي هي من حقائق الغيب الايمانية لا تولد تلك الاوهام الواردة مهما كانت خللاً في يقيننا

الايمـاني . ولهـذا فالقـاعدة المشهورة في اصول الدين واصول الفقه : «لا عبرة للاحتمال غير الناشيء عن الدليل» .

واذا قلت : «تُـرى ما الحكمـة من ابتـلاء المؤمنين بهـذه الوساوس المزعجة للنفس المؤلمة للقلب» .

الجـواب : اننـا اذا ما نحّينـا الافـراط والغلبة جانباً فان الوسوسة تكون حافزة للتيقظ ، وداعية للتحري ، ووسيلة للجدية ، وطاردة لعـدم المبـالاة ، ودافعـة للتهـاون ولأجـل هذا كله جعل العليم الحكيم الوسوسة نوعاً من سوط تشويق واعطاه بيد الشيطان كي يحث به الانسـان ـ في دار الامتحـان وميدان السباق ـ الى تلك الـحِـكَـم . واذا ما افــرط في الأذى ، فررنا الى العليم الحكيم وحده مستصرخين : **اعوذ بالله من الشيطان الرجيم** .

خاتمة
الكلمة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وما الحياة الدنيا الاّ متاع الغرور﴾[19]

(درس للعبرة وصفعة قوية على رأس الغفلة)

يا نفسي!.. ايتها السادرة في الغفلة!

يا من ترين هذه الحياة حلوة لذيذة فتطلبين الدنيا وتنسين الآخرة.. هل تدرين بمَ تشبهين؟ انك لتشبهين النعامة... تلك التي ترى الصياد فلا تستطيع الطيران، بل تقحم رأسها في الرمال تاركة جسمها الضخم في الخارج ظناً منها ان الصياد لا يراها. إلا أن الصياد يرى، ولكنها هي وحدها التي اطبقت جفنيها تحت الرمال فلم تعد ترى!

فيا نفسي! انظري الى هذا المثال وتأملي فيه كيف ان حصر النظر كله في الدنيا يحوّل اللذة الحلوة الى ألم أليم مرير!.

هب أنه في هذه القرية (بارلا) زجلان اثنان: أما أحدهما

---

(19) سورة آل عمران: 185.

فقد رحل تسعة وتسعون بالمئة من أحبته الى استانبول وهم يعيشون هناك عيشة طيبة جميلة، ولم يبق منهم هنا سوى شخص واحد فقط وهو أيضاً في طريقه الى الالتحاق بهم، لذا فان هذا الرجل مشتاق الى استانبول أشد الاشتياق بل يفكر بها، ويرغب ان يلتقي بالأحباب دائماً. فلو قيل له في أي وقت من الاوقات: «هيا اذهب الى هناك» فانه سيذهب فرحاً باسماً.

أما الرجل الثاني فقد رحل من احبته تسعة وتسعون بالمئة فيظن ان فنى بعضهم، ومنهم ان انزوى في اماكن لا ترى. فهلكوا وتفرقوا حسب ظنه. فهذا الرجل المسكين ذو داء عضال يبحث عن أنيس وعن سلوان حتى في سائح واحد، بدلاً من اولئك جميعاً، ويريد ان يغطي به على ألم الفراق الأليم.

فيا نفسي! ان أحبتك كلهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم (حبيب الله) ﷺ، هم الآن في الطرف الآخر من القبر. فلم يبق هنا الاّ واحد أو اثنان وهم ايضاً متأهبون للرحيل.

فلا تديرنّ رأسك جفلة من الموت، خائفة من القبر، بل حدّقي في القبر وانظري الى حفرته بشهامة واستمعي الى ما يطلب. وابتسمي بوجه الموت برجولة، وانظري ماذا يريد؟ وإياك ان تغفلي فتكوني أشبه بالرجل الثاني!.

يانفسي: لا تقولي ابداً بأن الزمان قد تغيّر، وان العصر قد

تبـدّل، وان النـاس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها، فهم سكارى بهموم العيش. . ذلك لأن الموت لا يتغير، وان الفراق لا ينقلب الى البقاء فلا يتغير ايضاً، وان العجز الانساني والفقر البشري هما ايضاً لا يتغيران بل يزدادان، وان رحلة البشرية لا تنقطع، بل تحث السير وتمضي. ثم لا تقولي كذلك: «أنا مثل كل النـاس». ذلـك لأن كل واحـد من النـاس لن يصاحبك الاّ على عتبة باب القبر. . لا غير.

ولـو ذهبت تنشـدين السلوان فيما يقال من مشاركة الآخرين معـك في المصيبـة ومعيتهم لك، فان هذا ايضاً لا حقيقة له ولا أساس مطلقاً في الطرف الآخر من القبر!.

ولا تظني نفسـك سارحـة مفلوتـة الـزمام، ذلك لأنك اذا ما نظـرت الى دار ضيـافـة الـدنيا هذه نظر الحكمة والروية. . فلن تجدي شيئاً بلا نظام ولا غاية، فكيف اذن تبقين أنت وحدك بلا نظـام ولا غايـة؟! فحتى الحـوادث الكـونيـة والـوقـائع الشبيهة بالزلازل ليست هي ألعوبة بيد الصدفة.

فمثلاً: في الوقت الذي تشاهدين فيه بأن الأرض قد ألبست حللاً مزركشة بعضها فوق بعض مكتنفة بعضها في البعض من انـواع النبـاتـات والحيـوانات في منتهى النظام وفي غاية النقش والجمـال، وتـرينهـا مجهّـزة كلهـا من قمـة الرأس الى أخمص

القدم بالحكم، ومزينة بالغايات. وفي الوقت الذي تدور بما يشبه جذبة حب وشوق مولوية بكمال الدقة والنظام ضمن غايات سامية. ففي الوقت الذي تشهدين هذا، وتعلمين ذلك، فكيف يسوغ اذن أن تكون الزلزلة الشبيهة بهزّ عطف كرة الارض[٢٠] مظهرة بها عدم رضاها عن ثقل الضيق المعنوي الناشيء من اعمال البشر، ولا سيما أهل الايمان منهم، كيف يمكن أن تكون تلك الحادثة المليئة بالموت، دون قصد ولا غاية ـ كما نشره ملحد ـ ظناً منه أنها مجرد صدفة، مرتكباً بذلك خطأ فاحشاً ومقترفاً ظلماً قبيحاً؟ اذ صيّر جميع ما فقده المصابون من أموال وارواح هباء منثوراً قاذفاً بهم في يأس أليم.

والحال أن مثل هذه الحوادث تدّخر ـ دائماً ـ أموال أهل الايمان، محولة إياها ـ بأمر الحكيم الرحيم ـ الى صَدَقة لهم. وهي كفّارة لذنوب ناشئة من كفران النعم.

فلسوف يأتي ذلك اليوم الذي تجد الارض المسخرة وجهها دميمة قبيحة بما لطخ زينتها شركُ اعمال البشر ولوّثها كفرانه، فتمسح عندئذٍ وجهها بزلزلة عظيمة بأمر الخالق، وتطهّره مفرغةً أهل الشرك ـ بأمر الله ـ في جهنم، وداعيةً أهل الشكر: «هيا تفضلوا الى الجنة».

---

(٢٠) كتبت هذه بمناسبة الزلزال الذي حدث في أزمير.

من كليات رسائل النور التي صدرت:

١ ـ رسالة الحشر ـ الطبعة الثانية.
٢ ـ قطوف من أزاهير النور.
٣ ـ الآية الكبرى.
٤ ـ مختارت من «المثنوي العربي النوري» اختيار وتقديم أديب ابراهيم الدباغ.
٥ ـ زهرة النور: سلوة المرضى وعزاء المبتلين.
٦ ـ الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة.
٧ ـ الشيوخ: ندى الرجاء وبرد الايمان.
٨ ـ الشكر: ثمرة الحياة وغاية الكائنات.
٩ ـ حقائق الايمان.
١٠ ـ الايمان وتكامل الانسان.
١١ ـ الاخلاص والاخوة.
١٢ ـ حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي.
١٣ ـ الثمرة.

مع قراءات في فكر سعيد النورسي

١ ـ الطبيعة.
٢ ـ السنة النبوية: سنة كونية وحقيقة روحية.
٣ ـ النوافذ.

مع «ذكريات عن سعيد النورسي».



بغداد ـ هاتف ٨٨٢٧٢٦٨



اعلمي ايتها النفس ! ان الأمس قد فاتك، أما الغد فلم يأت بعدُ، وليس لديك عهدٌ أنك ستملكينه؛ لهذا فاحسبي عمرك الحقيقي هو هذا اليوم. واقل القليل ان تلقي ساعة منه في صندوق الادخار الاخروي، وهو المسجد أو السجادة، لتضمني المستقبل الحقيقي الخالد.

سعيد النورسي

«السعر ٦٠٠ فلس»

الخلود